محمد محمود الصواف

المسلمون وعلم الفلك

العلمي

توزيع
الدار السعودية للنشر
جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة المعارف

مكتب الوزير

١٦/ ١١/ ١٣٨٥ هـ

سيادة الاخ الاستاذ محمد محمود الصواف المحترم :

بعد التحية الطيبة :

كان لنشاطكم في الموسم الثقافي بمكة وذلك لعام١٣٨٥هـ أثر ملموس في إنجاح أهداف أمثال هذه المراكز الثقافية وان مساهمتكم لدليل جميل في خدمة نشر أشعة العلم والمعرفة لابناء أمتنا العربية المسلمة . ويسرني بهذه المناسبة أن أوجه لكم خالص الشكر راجياً المولى عز وجل أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير أمتنا وبلادنا .

ولكم تحياتي ...

وزير المعارف

حسن بن عبد الله آل الشيخ

المملكة العربية السعودية

وزارة المعارف

مكتب

مدير التعليم بمنطقة مكة

٥/ ٩/ ١٣٨٥ هـ

سيادة الاديب المعروف الاستاذ الكبير محمد محمود الصواف المحترم

بعد التحية الطيبة : —

يسرنا — والشهر الكريم — قد أظلنا ببركاته وفيوضه ان نهنيكم بحلوله ونتمنى على الله لكم الصحة الوفيرة والسعادة القلبية —

ثم نكرر شكرنا وعظيم امتناننا لما اسهمتم به في موسمنا الثقافي في العام المنصرم مما كان له أجمل الاثر في إنجاحه وبلوغه مراميه البعيدة — ولقد كان ذلك التعاون وتلك الاستجابة الكريمة ، والمشاركة الايجابية محل تقدير كل افراد الاسرة التعليمية وعلى رأسهم معالي الوزير — وغدا موضع الشكر الجزيل والتقدير الكبير والامتنان البالغ .

واننا بحلول — شهر الصيام المبارك — ومن قلب مكة المكرمة — نجدد دعوتنا لسيادتكم للمساهمة في موسمنا الثقافي لهذا العام بما تجود به قريحتكم الفذة —

ونحن نجدد الدعوة — لنلتقي بكم في رحاب البيت الحرام — لعلى أكثر من ثقة أن تلبيتكم لدعوتنا ستكون عاجلة ... وفي الاولى والاخرى نؤكد أخلص آيات شكرنا والله يتولى عنا مثوبتكم لقاء مشاركتكم واستجابتكم لنداء الخير نداء العلم والمعرفة والمواطنة الصالحة ...

أخوكم

مصطفى عطار

مدير التعليم بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور . والصلاة والسلام على نبي الرحمة وهادي الأمة سيدنا وسيد الأولين والآخرين محمد المبعوث رحمة للعالمين وبعد :

كان فضيلة الأخ الاستاذ الكبير العلامة المخلص الشيخ عبد العزيز بن باز نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قد كتب مقالاً بعنوان : « الشمس جارية والأرض ثابتة » نشرته جريدة البلاد الغراء التي تصدر بجدة في عددها ٢١١١ وتاريخ ٢٠ رمضان١٣٨٥هـ كما نشرته جريدة الدعوة الاسلامية.

وفي المقال حديث وعلم وفتوى خطيرة وقد أحدث هذا المقال ضجة كبيرة في الأوساط المختلفة ،وقد استغله بعض أعداء الفكرة الإسلامية وأخذ يتقول ما شاء له هواه على علماء المسلمين ، حتى إنهم نسبوا الى سماحة الشيخ أنه يقول : بعدم كروية الأرض ، مع العلم بأنه لم يتطرق الى هذا الموضوع كما لم يكن هذا موضوع مقاله .

والشيخ عبد العزيز هو من هو ، فضلاً وعلماً ، وجهاداً ، في سبيل دعوة الله ، وذوداً عن شريعة الله . وهو من أكابر

علماء المملكة العربية السعودية ، ومن أفذاذ رجال الإسلام في هذا العصر ، والذين يتمتعون بشعبية عاليـــة ، وسمعة فوق الممتازة في الأوساط العلمية والإسلامية . لذا فليس غريباً أن يحدث مقاله هذا . تلك الضجة الكبرى في الأوساط العلميـة والأدبية في المملكة وفي غير المملكة . حتى أن بعض الجامعات العلمية الخارجية طلبت المقال والردود عليه من المملكة .

وأمام هذه الضجة التي لمست آثارها بنفسي وشهدت الكثير من المجالس العلمية والأدبية وهي تتحدث عن هذا المقـال ، رأيت أن أتولى الرد بنفسي لتصحيح بعض النقاط التي وردت في المقال ، إذ لم أجد أحداً رد عليها فكتبت الرد على الرغم مما بيني وبين فضيلة أخي الاستاذ الكبير الشيخ عبد العزيز بن باز من مودة ، ومحبة ، وأخوة صادقة يرجع أمدها الى ما يقرب من عشرين عاماً . وهو حفظه الله واسع الصدر ، كثير الحلم ، بحر في العلم ، اذا علم الحق رجع اليه ، والرجوع الى الحق فضيلة وهو بحق صاحب فضل وفضيلة .

لقد كتبت الرد الذي سيقرؤه المطلع على هذا الكتاب . وأرسلت النسخة الأولى لفضيلته مع رسالة خاصة مني اليـه بالبريد ، ورجوته أن يطلع عليها ويعطيني الجواب قبل أن تنشر في الصحف . وبعد أيام استلمت منه الجواب وكان مصراً فيه على الآراء التي اعترضت عليه فيها .

وفي هذا الظرف استلمت كتاباً من سعادة مدير التعليم بمنطقة

مكة المكرمة ، يدعوني فيه لإعداد محاضرة ألقيهـا بمناسبة الموسم الثقافي لإدارة التعليم بمكة المكرمـة . وترك اختيار الموضوع لي . فرأيت أن أجعل موضوعي بعنوان : المسلمون وعلم الفلك . وهو موضوع الساعة وحديث الناس . وفي الموعد المحدد ألقيت المحاضرة . ولكني حذفت منهـا خطابي لفضيلة الأخ الشيـخ عبد العزيز بن باز وجعلتها موضوعاً علميـاً صرفاً لا ارتباط له بما كتب الشيـخ حفظـه الله . وحضر المحاضرة جمهور كبير من أهل مكة وجدة كما حضرها أساتذة الكليات والمدارس والكثير من الادباء والعلماء وأمين عام رابطة العـالم الإسلامي وغيرهم ، وبعد المحاضرة والتعليق عليها أجبت على عشرات الأسئلة التي وجهت إليّ وكانت بفضل الله موفقة الى حد لا بأس به . بعد هذا أرسلت الرد بكامله الى جريـدة الدعوة الغراء التي تصدر بالرياض وهي جريدة إسلامية طيبة وقد نشرت مقال فضيلة الأخ الشيـخ عبد العزيز بن باز الذي رددت عليه ، فَبَدأَتْ بنشر مقالي ونشرت منه ثلاث حلقات ، واكتفت بها وتوقفت عن نشر الباقي ، وبعد هذا بـدأ فضيلة الأخ الشيـخ عبد العزيز بن باز يرد على ردي ويؤيـد ما ذهب إليه أولاً في مقاله الأول .

وحرصاً مني على نشر العلم ، وبيان فضل علماء المسلمـين الذين كان لهم الفضل الأكبر في تشجيع علم الفلك ، وبنـاء المراصد في مختلف البلدان . رأيت أن أطبع هذا الرد في كتيب

ليطلع شبابنا على مفاخر أجدادهم وسبقهم للعالم في مختلف الميادين العلمية ، وأن حضارتنا الإسلامية من أعظم الحضارات الانسانية التي عرفها التاريخ البشري ، فما علينا إلا أن نَجِدَّ في البحث عن كنوزها لننعم بالمفاخر والجواهر التي تركها لنا أُولئك الأمجاد الكرام ، من العلماء الاعلام ، والخلفاء العظام ، ولقد زدت بعض الشيء على أصل المقال وفصلت الأمر في بعض النقاط إتماماً للفائدة المرجوة من قراءة هذا الكتاب الذي أرجو الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يثيبني عليه ثواب المخلصين ، وأن يدخر لي هذا الثواب ليوم الدين « يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم » « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » ربنا آتنا من لدنك رحمة وَهَيِّئْ لنا من أمرنا رشداً. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في صدورنا غلاً للذين آمنوا .

ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد محمود الصواف

رسالة

المقدمة للعلامة الكبير الشيخ

ابو الأعلى المودودي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين وبعد :

إن هذه الرسالة القيمة التي بين يدي القارىء مؤلفها الشيخ محمد محمود الصواف في غنى عن التعريف وهو مجاهد عراقي جليل وداعية إسلامي كبير كرس حياته في الكفاح والنضال في سبيل الدعوة الإسلامية ، وهو مؤسس الحركة الأسلامية في بلاد الرافدين ، وحياته حافلة بالتضحيات الرائعة في استعادة المجد الإسلامي بالمواقف الحاسمة في القضايا الإسلامية وقد شرفه الله تعالى بالإقامة في بيته الحرام ليبلغ رسالة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بواسطة حجاج بيت الله المحرم الذين يأتون من كل فج عميق .

وقد درست رسالته هذه بإمعان النظر التي عارض فيها رأي فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في تكفير الذين يقولون بدوران الأرض . كما

قـرأت قبل ذلك مقال فضيلة الشيـخ عبد العزيز بن باز نفسه الذي نشرته بعض الجرائد السعودية . أنا شخصياً من المعجبين بعلم فضيلته على الجهر بالحق ، إلا أن الموضوع الذي ناقشه فضيلته في مقاله المنشور في الجرائد بما أنه يتعلق بالدين والحق أجد نفسي مضطراً إلى أن أقول صريحاً كان من الخـير لو لم يتعرض فضيلته لهذا الموضوع لأن الذي ورد في كتاب الله تعالى في بعض آياته عن الأمور الكونية لم يرد ليعلم الإنسان عـلم الطبيعة وإنما ورد ليلفت نظر الإنسان إلى مـا في آيات الله الكونية من دلائل قاطعة وحجج دامغة على توحيد الله تعـالى والبعث بعد الموت . وقد راعت الحكمة الالهية في تحقيق هذه المصلحة أن يشاهد الإنسان آيات الله في الكون ويتلقى فيهـا دروساً وعبراً في ضوء ما وصل إليه علمه بأمور الكون ومع أن الذي جاء في القرآن من آياته التي تشير إلى الأمور الكونية لا يخالفه الواقع ولا تعارضه الحقيقة الكونية ولن يكون ذلك أبداً . إلا أن القرآن لم ينتهج لذكره أسلوباً يصطدم مع علوم الإنسان في عصر من العصور إصطداماً صريحاً يحول بين الانسان وبين إيمانه بالله تعالى وبكتابه ولأجل ذلك لم يصرح القرآن بصورة قاطعة من آية من آياته بدوران الأرض وثبوت الشمس أو ثبوت الأرض وجريان الشمس حولها ، أما قوله تعـالى : والشمس تجري لمستقر لها .. فليس معنى ذلك أن الشمس تدور حول الأرض بل معناه أن الشمس سارية إلى مستقرها الذي

لا يعلمه الإنسان . وهذا المدلول لا يعارضه علم الهيئة في العصر الحاضر ، وكذلك أن القرآن لم يصرح في آية من آياته بكون الأرض ثابتة ساكنة وكون الشمس دائرة حولها وأن الانسان في القرون الماضية كان يفسر الرواسي والأوتاد في نطاق معرفته وحسب علمه بالأمور الكونية آنذاك ويحق له أن يفسرها اليوم في ضوء ما اكتشفه من الأمور الكونية وان الله تعالى لم يجعل إيماننا وعقيدتنا مربوطاً بعلم عصر من العصور بحيث إذا تغير هذا العلم وتبدل اضطر الانسان إلى أمرين : إما أن يؤمن بالله تعالى وينكر صحة العلم أو يكفر بالله تعالى ويؤمن بصحة العلم فإذا كان الانسان القديم مسلماً صحيح الاسلام على رغم قوله بثبوت الأرض كذلك لا شك في صحة إسلام الانسان الحاضر على اعتقاده بدوران الأرض . ولذلك أنا أوافق رأي فضيلة أخي الشيخ محمد محمود الصواف الذي أبداه في رسالته في هذا الموضوع وأرجو من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ان يعيد نظره من فتواه .

هذا ما عندي والله عنده علم الصواب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبو الأعلى المودودي
مكة المكرمة
فندق شبرا
٢٢ / ١٢ / ١٣٨٥ هـ

رسالة
من فضيلة الأخ الأستاذ الكبير
الشيخ علي الطنطاوي

أخي الاستاذ الصواف

رحبت بما سمعت عن عزمك على طبع ما كتبته في موضوع (دوران الأرض) . لا لأن فيه رداً على مقال الشيخ الجليل ابن باز ، بل لأن أعداء الإسلام ، استغلوا ذلك المقال وعلقوا عليه تعليقات ، ملأت الصحف الاوربية والاميركية ، نالوا فيها من الإسلام بالباطل ، فوجب الدفاع عن الإسلام بالحق وبيان أن الذي كتبه الشيخ ابن باز رأى له ، قد يكون له قبول عند بعض العلماء ، ولكنه ليس حكم الاسلام القطعي في هذه المسألة ، وجمهرة علماء المسلمين في جميع أقطار الإسلام على خلافه .

والشيخ ابن باز عالم جليل ، ولكنه لم يدع لنفسه ولا ادعى أحد له العصمة من الخطأ ، ومامن العلماء إلا من ردّ ورُدّ عليه .

ثم إن المسألة أكبر من المجاملة ، وأجل من أن تدخل في تقدير الامور الشخصية ، ولو أن الشيخ ابن باز حفظه الله . رأى مقالة لأقرب صديق إليه ، وأجلّ عالم عنده ، وتيقن أن فيها ما يجانب الحق لما منعته صداقته له ولا اجلاله اياه ، من أن

يردّ عليه . وأظنه لا يحرم غيره حقاً يراه هو لنفسه .

وبعد ـ فالذي أعرفه أن الإسلام ليس فيه نصٌّ قطعي من كتاب أو سنة ، ولا دليل من اجماع أو قياس ، على دوران الأرض ، ولا على سكونها . وأن الله لم يكلفنا اعتقاد شيء من ذلك ، ولا يسألنا عنه يوم القيامة .

ومن المبادىء المسلـّمة أن الأمر الذي قضى فيه الشرع بوجود أو عدم ، أو حلٍّ أو حرمة . أو استحسان أو استقباح ، قضاء قطعياً ، لا خيرة لنا فيه ، ولا بد من الوقوف فيه عند حدّ الشرع ظاهراً وباطناً ، علماً وعملاً .

وما لم يقض فيه الشرع بشيء ، رجعنا فيه الى الحسّ ؛ وإلى العقل. فما صح عندنا أثبتناه ،وما لم يصح تركناه . ولا يؤاخذنا الله باثبات ولا ترك ، ما دام الشرع قد ترك الأمر لنا .

ودوران الارض أمر مشاهد ، مقطوع به ، كان معلوماً (علماً نظرياً) بالادلة العقلية . فصار معلوماً (علماً ضرورياً) يا لحسّ ومشاهدة الارض من المركبات الفضائية . وعرض الصور التي التقطت لها في الرائي (أي التلفزيون) وفي الخيالة (أي السينما) . وصار القول بدوران الأرض من البديهيات التي لا ينازع فيها اليوم احد .

أما الآيات التي يرى فيها منكرو الدوران دليلاً لهم . كقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) . فليس فيها دليل . لأن (ماد) عند العرب بمعنى (مال) وهو باب

معروف — والميلان حركة اضطرابية . والسير حركة انتقالية . فاذا نفى الله عنها الميلان فلا يفهم منه نفي الحركة الانتقالية .

بل ربما كان في الآية (اشارة) الى مسيرها . لأن الآية دلـّت على أن الجبال مثل الثقل للأرض لئلا تميد . أي تضطرب في سيرها . كالزورق . إذا كان فارغاً . وضعوا فيه الحجارة أو أكياس الرمل . لئلا يضربه الموج فيضطرب .

أقول في الآية (اشارة) فقط وإلا فالصحيح ما قلته أولاً عن الإسلام إذ ليس فيه دليل قطعي لا على حركة الأرض ولا على نفي الحركة عنها وعلى مدّعى عكس هذا أن يأتي بالدليل ، وما ساقه الشيخ الجليل ابن باز ليس فيه ما يعتبر نصاً في المسألة ، أو دليلاً أصولياً على دعواه .

هذا ولا يزال في العالم الإسلامي علماً بحمد الله ، وقد اتصلت منذ نشر مقال الشيخ ابن باز الاول . بعدد عديد من علماء الاقطار الاسلامية في رحلتي في الصيف ، وفي مكة عند اجتماع مجلس الرابطة ، وذكرت لهم موضوع المقال . فلم أجد واحداً منهم يؤيد ما فيه إلا صديقنا الشيخ محمد الحامد من حماه في الكتاب الذي أصدره أخيراً . وله وللشيخ ابن باز أجر ولك — أخي الصواف — ولمن يقول بقولك أجران . ولست أوزع الأجور ، ولكن أشير الى الحديث .

وجزاك الله خيراً ، على قصدك الحسن في الدفاع عن الاسلام

وأنا أرى أن تعمد بعد طبع ما كتبت بالعربية ، الى ترجمته الى المشهور من ألسنة القوم وإرساله لينشر في الجرائد التي اتخذت من مقال الشيخ طعناً على الإسلام وأهله ليروا أن في علماء المسلمين من لا ينكر الامور الحسية والمسلمات البديهية ، من غير استدلال بدليل قطعي من الدين . ومن قبل قال شيخ الاسلام ابن تيمية ، إنه ليس في الدين أمر ثابت يناقض أو ينافي أمراً ثابتاً في العقل أو الحسّ وما قاله هو الحق .

مكة المكرمة

علي الطنطاوي

*

حول
مقال الشمس جارية والأرض ثابتة

بداية الرد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه .

أخي الكبير الأستاذ العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظك الله ورعاك وأثابك على إخلاصك وجهادك خير ما يثيب عاملاً صادقاً عن عمله وبعد :

لقد قرأت بإمعان مقالك القيم « الشمس جارية والأرض ثابتة » ولمست الضجة الكبرى التي أحدثتها في الأوساط العلمية والمجامع الثقافية ، وقد كان حديث المجالس وحديث الغادين والرائحين وكانوا ما بين موافق ومخالف ولم تكن الغرابة من موضوع المقال فالخلاف في هذا الأمر قديم وحديث ولكن الضجة مما جاء في المقال من التكفير والتضليل والحكم بالردة حيث قلت حفظك الله بعد أن سقت بعض الأدلة :

(وهكذا علماء المسلمين المعروفون المعتمد عليهم في هذا الباب وغيره قد حرصوا بما دل عليه القرآن الكريم من كون الشمس والقمر جاريين في فلكهما على التنظيم الذي نظمه الله لهما

وأن الارض قارة ساكنة ارساها الله بالجبال وجعلها أوتاداً لهــا فمن زعم خلاف ذلك وقال ان الشمس ثابتة لا جارية فقد كذب الله وكتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مــن خلفه تنزيل من حكيم حميد) ثم قلت حفظك الله : وكل مــن قال هذاالقول فقد قال كفراً وضلالاً لانه تكذيب لله وتكذيب للقرآن وتكذيب للرسول ﷺ ... الــخ ...

من هنا يا أخي انطلقت الضجة حتى أحدثت لها عجاجة في الأفق العامي ما كان أغنانا عنها خاصة وقد صدمت هذه الفتوى الملايين من الشباب والرجال يدينون بالإسلام في هذا العصر والذين أصبحوا يعتقدون أن مثل هذه الأمور أصبحت عندهم من المسلمات العلمية التي لا يجادل فيها اثنان فكيف تنفى نفيــاً قاطعاً ويكفر القائل بها ويحكم عليه بالردة ويستباح دمه وماله . نعم إن من كذب الله ورسوله وكذب كتابه فهو كافر مرتــد ومجرم أثيم كما قلتم فضيلتكم في مقالكم وأنا أقول وعليه غضب الله ولعنته إلى يوم الدين .

ولكن هل من قال بحركة الارض ودورانهــا حول الشمس بقدرة الله وبثبوت الشمس حول محورها وحركتها حول نفسها بأمر الله هل يعتبر هذا مكذباً لله ورسوله ومكذباً كتاب الله حتى يحكم عليه بالردة والكفر ؟؟؟؟

انني هنا أتوقف ولا أود أن أتعجل بمثل هذا الحكم الصارم في أمور أقل ما يقال فيها أنهــا ظنية وليست قطعية الدلالـــة والتوقف فيهــا أو تفويض الأمر فيهــا إلى الله العلي القدير أسلم

وأحكم وأراكم قد تعجلتم في أمر كانت لكم فيه أناة وفي التأويل مندوحة في الأمور غير القطعية خاصة في مثل هذه الأمور يا أخي كما لا يخفى على شريف علمكم وفضلكم .

ومع هذا فاني أود أن أقول لسماحتكم حفظكم الله ان هـذا القول « حركة الأرض وثبوت الشمس » لم يقل به كفار الغرب من الأمريكان ولا ملحدوا الشرق من الروس ، بـل الذي سبق اليه علمـاء مسلمون لهم قدرهم ووزنهم في تاريخ الحضـارة الأسلامية فهل نحكم بكفرهم وردتهم ونجردهم من الاسلام؟؟؟ ؟ وهم قد أفضو إلى ما قدموا . وقالوا في السماء والأفلاك مـا لم يصل إليه حتى الآن علمـاء الغرب ولا الشرق وقـالوا عن سطح القمر والجبال التي فيه قبل مئات السنين ما لم تقله لونا «٩» الـتي قيل أنهـا حطت على سطح القمر وأرسلت صوراً تلفزيونية إلى الكوكب الأرضي ولقددهشت حقاً وأنا أنظر إلى هذه الصور في الصحف وأقرأ ما قاله علماءنا الأجلاء قبل ما يقارب الألف عام ، كيف وصل علماءنا إلى ذلك كله مع قلة الوسائل وحداثة العـلم الذي اشتغلوا فيـه ؟؟ ونبغوا فيه نبوغـاً حـير الألباب واستخرج حتى من أعدائهم الأعجاب ان العلماء المسلمين أول من اشتغل بعلم الفلك بعد اليونانيين الاقدمين وأول من ألف فيـه الكتب والمصنفات وأول من أنشأ المراصـد الفلكية في العـالم وخصص لها المخصصات الطائلة من بيت مال المسلمين ولقد أدت مراصد بغداد الفلكية في عهد هـارون الرشيد وعهـد المأمون

العباسي الأول خدمات لعلم الفلك ذكرها وشكرها كثير من العلماء الفلكيين في القديم والحديث وكذلك فعلت مراصد دمشق والقاهرة والرقة وسنجار ومراغة وسمرقند وقرطبة وطليطلة بل أن هذه المراصد أضافت إلى علم الفلك إضافات مهمة بعد أن أدمجت فيها مجموعة ما رصد في هذه المراصد إذ عينت انحراف سمت الشمس بثلاث وعشرين دقيقة وإثنين وخمسين ثانية وهو ما يعادل الرقم الحاضر اليوم تقريباً ، ثم رصدت الاعتدال الشمسي فمكنهم من تعيين مدة السنة بالضبط ، قال ابن قتيبة عن علماء الفلك المسلمين الأقدمين :

إنهم أعلم الأمم بالكواكب ومطالعها ومساقطها . وفي عصر المأمون العباسي وضع أبناء شاكر « قياساً » للدرجة على الأرض ووضعوا التقاويم للأمكنة وقاسوا عرض بغداد وكان مقداره ثلاثاً وثلاثين درجة وعشرين دقيقة .

٤١ سنة و ٤١ مدينة

لقد مكث العالم المسلم محمد بن جابر بن سنان واحداً وأربعين سنة يرصد النجوم والقمر والكواكب في مرصد الرقة في أرض الشام حتى تمكن من تصحيح بعض نتائج بطليموس وجاءت نتائج أرصاد هذا العالم المسلم غاية في الدقة والضبط والإحكام والإتقان. خاصة فيما يتعلق بالقمر وسطحه والتعاريج التي وصفها فيه والجبال والوديان. وأبو الحسن المراكشي وهو من علماء القرن الثامن الهجري

قام بجهود كبيرة في خدمة علم الفلك ولقد عني بضبط خطوط الطول والعرض لإحدى واربعين مدينة أفريقية واقعة مـا بـين مراكش والقاهرة فهل صبر أحد من العلماء صبر العلماء المسلمين على مثل هذه التحقيقات الفلكية ؟ وهل فعلوا هذا إلا استجابة لأمـر الله تبارك وتعـالى في المئـات من آيات كتابه الكريم . وكلها تأمر بالنظر بما في السموات والأرض. « قل أنظروا ماذا في السماوات والارض » ومن المعـلوم انه ليس المراد من النظر هو مجرد التسلي والتفرج ، بل المراد به التحقيق العلمي والوصول إلى الأسرار الكامنة وراء هذه المخلوقات الكونية الهائلة لنستدل من عظمتها على عظمة الخـالق الكبير الجليل سبحانه وتعالى ، لذا فقد سبق العلمـاء المسلمون في مثل هـذه الميادين العلميـة والتحقيقات الفلكية التي أدهشت حتى أعـداءهم . وقالوا عن الأرض وكرويتها وحركتها وسبحها في الفلك الأعظم . مـا لم يقله علماء الغرب إلا بعد مئات السنين .

امثلة واسئلة

ما دمت في الحـديث والإشارة عن الأرض فقـد بقيت لي ملاحظة حـول ما ذكره فضيلة الأخ الكبير الشيخ عبد العزيز رعاه الله حيث قال « ويشاهدون الأرض قارة ثابتة ويشاهدون كل بلد وكل جبل في جهة لم يتغير من ذلك شيء ولو كانت الأرض تدور كما يزعمون لكانت البلدان والجبـال والاشجار والانهـار

والبحار لا قرار لها ويشاهد الناس البلدان المغربية في المشرق والمشرقية في المغرب ولتغيرت القبلة على الناس حتى لا يقر لهـا قرار » وهنا أود أن أسأل فضيلة الأخ بعض الأسئلة علها تلقي ضوءاً مما ذكره فضيلة الأخ من مشاهدة الجبال في مواقعها والبلدان في أماكنها وهذا دليله في قرار الأرض وثباتها ولو كانت جاريـة متحركة لتحولت الجبال وانتقلت البلدان ولتغيرت على النـاس القبـلة .

١ ـ لا شك أن فضيلة الأخ حفظه الله قد ركب أكثر مـن مرة طائرة «البوينج» السعودية الفخمة ولهذه الطائرة الكبيرة مقاعد عن اليمين ومقاعد عن الشمال فهل إذا ركب الراكب عن اليمين ثم طارت الطائرة وتحولت شمالاً أو جنوباً فهل يتحول ويقفز مقعد اليمين إلى الشمال والشمال إلى اليمين وكلما انتقلت إلى جهة انتقلت معها المقاعد أو هي ثابتة قارة في أماكنها .

لاتتحرك ولو تحركت الطائرة مائـة حـركة شرقاً وغربـاً وشمالاً وجنوباً ؟؟؟؟

٢ ـ ونحن يا أخي أناس خلقنا الرب تبارك وتعالى في أحسن تقويم والكل واحد منا يد في اليمين واخرى في الشمال . وأحدنا يتجه في اليوم مائة اتجاه يمناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وهو يجري فهل إذا انتقلنا تحولت أيدي اليمين إلى الشمال والعكس بالعكس أم أن اليمين يبقى في محله وكذا الشمال ولو تحركنا في اليوم ألفي حركة .

٣ — وراكب الباخرة إذا اخـذ مـكانه في غرفته فيها ثم سارت به وأخذت تشق عباب البحر يميناً وشمالاً فهل تتحـول غرفته كلما تحولت الباخـرة أم تبقى قارة ثابتة ويبقى هو فيهـا ساكناً مطمئناً لا يحس غالبـاً حتى بحـركة الباخرة كما لا يحس راكب الطائرة إنها تطير وفي الواقـع إنهـا تقطع المسافـات الشاسعة وتنهب الجو نهباً .

هذه ثلاثة اسئلة تبين لنا أن الأرض كذلك إذا تحركت بقدرة الله في حركتها اليومية أو السنوية فإنها يتحرك معها كل شيء حركة جماعية واحدة فيها وكل شيء يبقى في محله فلا جبل أحد يكون محل أبي قبيس ولا أبو قبيس يكون في محل قيسون ، ولا قيسون في محل جبال الألب أو جبال الأطلس وكذا الشأن في البلدان والاشجار والأنهار والبحار والقبلة لا تتغير على الناس لأن كل شيء في محله إذ الحركة كلية جماعية عامة للأرض ولما على الأرض ولمن على الأرض سواء بسواء . أما إننا كيف لا نحس في مثل هذه الحركة الجبارة التي هي من الدلالة على عظمة الخالق وجـلال قدرته وعظيم صنعه في الأرض : فكما لا تحس النمـلة بحركة الجبل ، ولا الذرة في الماء بحركة البحر . فكذا الانسان وهو أقل من الذرة ، وأصغر من النملة بالنسبة لضخامة وعظمة الكرة الأرضية : فكيف يحس بحركتها وهو يتحرك معها من حيث لا يشعر ولا يدري والمحرك هـو الله تبارك وتعـالى الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً .ان الانسان وهو راكب فيالباخرة

قد لا يحس بحركتها وهي تسير . وكذا في الطائرة لولا صوتها لا يحس بحركتها وهي تطير وتنهب الجو نهباً .

فما الإنسان بالنسبة لهذا الكوكب الأرضي العظيم . وما الأرض كلها بالنسبة إلى الكائنات المخلوقة في هذا الكون العظيم ؟

يقول الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي .

وما الأرض بين الكائنات التي ترى
بعينيك الا ذرة صغرت حجماً
وأنت على الأرض الحقيرة ذرة
تحاول جهلا أن تحيط بها علما

٤ — وسؤال آخر وهو الأخير :

ما رأي فضيلة الأخ في بلاد فنلندا مثلاً والشمس لا تغيب عنها لمدة ستة أشهر وتمضي عليها نصف سنة وهي طالعة مشرقة . ثم تغيب وتبقى غائبة لمدة ستة أشهر أخرى . ويمضي العام على هذه البلاد وأمثالها بيوم وليلة . ويومها نصف عام ، وليلتها النصف الثاني . سبحان الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً وأحاط بكل شيء علماً .

المسلمون وعلم الفلك

بداية المحاضرة :

قال الله سبحانه وتعالى :

ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره . ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين . ٥٤ ـ الاعراف

وقـــال تعالى :

هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ٦٠ ـ يونس .

وقال تعالى :

وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى كاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون . ١ ـ يسن .

وقال تعالى :

الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء علما » . ١٢ الطلاق .

لهذه الآيات العظيمة ، ولغيرها مما في كتاب الله من آيات بينات تلفت الانظار الى ما في السماوات والارض من عظيم الخلق وجليل القدرة الربانية . وتوجه الافكار والانظار الى الفلك الاعظم الذي خلقه الله وأمرنا بالتفكر فيه .

فإن علم الفلك كان من أول العلوم التي لفتت أنظار العلماء المسلمين وجلبت اهتمامهم وعنايتهم بها ولم يكن الاهتمام بعلم الفلك مقصوراً على العلماء المختصين فقط ـ بل أن الكثيرين من خلفاء المشرق والأندلس في المغرب وبعض السلاطين السلاجقة والخانات المتحدرين من سلالة جنكيزخان أصبحوا شديدي الشغف والتعلق بهذا العلم .

علم الفلك

وعلم الفلك يبحث عن الاجرام السماويه وما تحويه وما تنتظمه من نجوم وكواكب ، وما يحدث في الكون من رياح وبرق ورعد ، والليل والنهار وتعاقبهما واختلافهما .

ولقد ظهرت المراصد الفلكية في كل مركز مهم من مراكز الامبراطورية الاسلامية المترامية الاطراف . واكتسبت مراصد

بغداد والقاهرة وقرطبة وطليطلة وسمرقند والرقة ومراغة شهرة فائقة بقي أثرها مئات السنين وكانت نتائج أبحاثها هي المرجع والمعتمد عند علماء الفلك في القديم والحديث . ويرجع تاريخ مدرسة الفلك في بغداد الى خلافة أبي جعفر المنصور العباسي وهو الخليفة الثاني وقد كان هو نفسه عالماً في الفلك واوعاً في علم السماء وما خلق الله فيها من آيات باهرات . وفي خلافة هارون الرشيد والمأمون حققت المدرسة البغدادية الفلكية انجازات مدهشة . ولقد نقحت النظريات الفلكية القديمة وأصلحت الكثير من أخطاء بطليموس وصححت الجداول اليونانية ويعزى الى هذه المدرسة اكتشاف أن أبعد نقطة في محور الشمس عن الأرض تغير موضعها ثم إيجاد قدر تقوس مدار الشمس البيضوي الشكل وانتقاصها المتوالي ودراسة طول السنة بدقة وتفصيل ولاحظ علماء بغداد أن أعلى خط عرض للقمر غير منتظم واكتشفوا اختلافاً ثالثاً للقمر يدعى التحول .

وقالوا بوجود بقع شمسية . ودرسوا الخسوف وظهور النيازك [1] وظواهر سماوية أخرى وشكوا في ثبات الأرض بل قال بعضهم بحركتها . وسجلت مدرسة بغداد الفلكية نتائج ملاحظاتها هذه في « الجدول الدقيق » ويعتبر يحي بن أبي منصور المؤلف الأول لهذا الكتاب .

---

(١) سيأتي الحديث عن النيازك والمذنبات .

ومن مشاهير علماء هذه المدرسة الفلكية والسابقين في هذا العلم الشيخ البناني الذي يعده « لالاند » من أشهر عشرين فلكيا عالميا في الدنيا .

وأبو الوفا الذي يقرن اسمه بإحدى قواعد علم الفلك ألا وهي قاعدة الانحراف القمري الثالث . وقد سبق أبو الوفا هذا العالم الدانمركي « تيخوبراهيه » الذي يعزى اليه هذا الاكتشاف خطأ بعشرة قرون (٢) .

ويعتبر « ابن يونس » مخترع الرقاص والمزولة وهو الذي أسس مدرسة القاهرة . وقد أوكل اليه الحاكم الخليفة الفاطمي أمر إدارة المرصد الذي بناه على جبل المقطم . ونشر ابن يونس الجداول المسماة باسم الخليفة الحاكم والتي فاقت في دقتها كل الجداول السابقة واستعيض بها عن « ماجست » بطليموس ومقالات بغداد الفلكية في الشرق كله حتى الصين .

ولم تكن الدراسات الفلكية في الأندلس بأقل تقدما منها في المشرق ذلك بأن أمير قرطبة عبد الرحمن الثاني وجه اهتماما خاصا نحو هذا العلم غير أنه لم يصل إلى أيدينا إلا النزر اليسير منه .

وكانت جميع آثار العلماء المسلمين الكبار قد اجتاحها الدمار

«٢» راجع : كيف أسهم المسلمون في الحضارة الانسانية للأستاذ — حيدر بامات .

أثناء الحروب الصليبية الحاقدة التي أثارها الغرب ضـد المسلمين في الاندلس وفي فترة الاضطهاد الديني الوحشية الـتي مرت على المسلمين في تلك العصور المظلمة والناطقة بوحشية الغرب وجهالته وحقده الدفين على الاسلام والمسلمين وحسبنا اننعرفأنالمراصد الفلكية في الأندلس قد اكتسبت شهرة عظيمة في تلك الأيام من حكم المسلمين المشرق بأنوار العلوم .

ويستطيع الانسان أن يحكم على جودة انتاج علمائنا الأعلام في الأندلس والتي عفا عليها الزمـان بالاطلاع على مؤلفـات المسيحيين الذين عاشوا في نفس تلـك الفترة واقتبسوا عنهم . وهكذا يظهر لنا أن جـداول « الفونسو العاشر » الفلكية المعروفة باسم « الجداول الفونسية » قد تأثرت الى حد كبير بأعمال المسلمين أن لم تكن مبنية عليها تماماً .

وقد استمرت مدرسة بغداد في عملها بعد سقوط الخلافـة العباسيةالسياسي وتقسيمها الى دويلات ولم يتوقف نشاطها المبدع الى حوالى منتصف القرن الخـامس عشر الميلادي حيث تعـدى أثرها الى أواسط آسيا والهند والصين .

وقد عاش عبدالرحمن محمد بن أحمد البيرونيوهو أحدمشاهير العلماء المسلمين في بلاط محمود الغزنوي ٩٩٧ — ١٠٣٠ حيث كون حلقة وصل متينة بين تراث بغداد وعلماء الهند . ومن أعمـاله العديدة في مواضيع مختلفة نشرت لوائح العرض والطول لأشهر مدن العالم .

وكان السلطان السلجوقي ملك شاه ١٠٧٢ — ١٠٩٢ والذي

اشتهر بعلمه وتقريبه للعلماء والأدباء في مجالسه . كان شغوفاً جداً بعلم الفلك والمراصد التي أمر بأنشائها أدت الي تعديـل التقويم وجعله أكثر دقة من التعديل الذي قام به « غريغوريوس » بعد ذلك بعشرة قرون .

قال الأستاذ حيدر بامات في كتـابه آنف الذكر : ولم يكن تأثير المغول في تشجيع العلم بأقل من تأثير السلاجقة فان هولاكو الذي عرف في التاريخ بوحشيته وتحمله المسؤولية في دمار بغداد قد بنى في مراغة مرصداً نموذجياً وعهد بادارته الي نصير الدين الطوسي « مؤلف » الجدول الايلخاني » ومخترع الأدوات العديدة التي كانت مستعملة في ذلك المركز الجديدالذي شقت منه علوم بغداد والقاهرة الفلكية طريقها الى الصين أثناء حكم قبلى خان .

ولم يكد « أولغ بيك » يتسلم مقاليد الحكم وهـو حفيـد تيمور لنك حتى بلغ علم الفلك عصره الذهبي وكذلك « أولـغ بيك » الذي كان يحمل أسم أبيه « شاه راه » وكان اسمه يقترن بالحركة الفكرية والفنية الرائقة التي تدعى النهضة التيمورية .

لقد كرس نفسه لدراسة علم الفلك ويعتبر آخر ممثلي مدرسة الحكمة في بغداد وكتابه الذي عرف عام ٤٣٧ يعد استعراضاً شاملاً لعلم الفلك المعاصر ويعتبر حلقة الوصل بين علم الأقـدمين في الفلك وعلم الفلك الحديث « انتهى »

لقد ظهر لنا في هذا الاستعراض المختصر أن العلماء المسلمين أول من اشتغل بعلم الفلك بعد اليونانيين الأقدمين . وأول من ألف فيه الكتب والمصنفات الطوال وأول من اهتم اهتماماً كبيراً بانشاء المراصد الفلكية في العالم وخصص لها المخصصات الطائلة من بيت مال المسلمين وفرغ لها فطاحل العلماء يرصدون ويحققون ويؤلفون وينشرون .

ولقد أدت مراصد بغداد الفلكية – كما قلنا – في العهد العباسي الأول خدمات لعلم الفلك ذكرها وشكرها العديد من العلماء الفلكيين في القديم والحديث وكذلك بقية المراصد في كبريات العواصم الاسلامية بل ان هذه المراصد أضافت الى علم الفلك اضافات مهمة بعد أن أدمجت فيها مجموعة ما رصد في هذه المراصد . اذ عينت انحراف سمت الشمس بثلاث وعشرين دقيقة واثنتين وخمسين ثانية وهو ما يعادل الرقم الحاضر تقريباً . ثم رصد الاعتدال الشمسي مكنهم من تعيين مدة السنة بالضبط .

الأرض

يقول علماء الفلك . وهذا ما نقله الاستاذ عبد الرزاق نوفل في كتابه . الله والعلم الحديث ص ٤٣

الأرض كوكب من الكواكب التي تدور حول الشمس وتتبعها في سيرها إينما سارت وهي الكوكب الخامس من حيث الحجم والثالث من حيث القرب من بين الكواكب التسعة التي تتكون منها المجموعة الشمسية .

والأرض تكاد تكون كرة إلا أنها منبعجة قليلاً عند خط الأستواء ومفلطحة عند القطبين ويقدر طول قطر الأرض المار بالقطبين ٧٩٠٠ ميل وقطرها الأستوائي ٧٩٢٧ ميلاً ومحيط الأرض عند القطبين ٣٤٢٢٠ ميل ومحيطها حول خط الأستواء ٢٤٩٠٠ ميل .

ومساحة سطحها ٢٠٠ مليون ميل مربع ويشغل اليابس منها نحواً من ٥٠ مليون ميل مربع والماء حوالي ١٥٠ مليون ميل مربع .

وهي تدور بنا حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة

فمن كان في المناطق الحارة فهو يتحرك بسرعة معدلها ألف ميل في الساعة أو ١٦ ميل في الدقيقة . وتدور حول الشمس في فلك يبلغ محيطه ٥٨٠ مليون ميل فمعدل سرعتنا في هـذه الحركة يبلـغ ٦٠ ألف ميل في الساعة أو بنحو ألف ميل في الدقيقة . والنظام الشمسي كله بما فيه الأرض ينهب الفضاء نهباً بسرعة لا تقل عن ٢٠ ألف ميل في الساعة أي أكـثر من ٣٠٠ ميل في الدقيقة متجهة نحو برج هركيوليس .

أما عمر الأرض فقد بدأ الأنسان تكهناته عنه من آمـاد بعيدة ففي القرن السابع عشر قال أحد المفكرين وأسمه جيمس أوثر إن العالم بدأ يوم ٢٦ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد وجـاء في أحد الكتب الهندية المقدسة أن عمر العالم هو ١٩٧٢٩٤٩٠٥٦ سنة وفي العصر الحديث بدأت الجهود التي يبذلها الفلكيون في المراصـد تلتقي عند أدق رقم يمكن أن يعتبر أصح تقدير لعمر الكرة الأرضية . فقد دلت آخر التقديرات القائمة على دراسات فلكية وأبحاث علمية في مراصد ليك ومونت ويلسون وبالومار على أن عمر الكرة الأرضية حوالي ٥٤٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة ونسبة الخطأ في تقدير هذا الرقم يقرب من ٢٠ ٪ – ويعتمد الفلكيون في عمر الكرة الأرضية على النظرية القائلة بأن شيئاً حـدث في الفضـاء في قديم الزمان جعل المـادة تتناثر من مركز مشترك واحد . وقد دلت الدراسة التي استمرت ٢٠ عاماً للضوء المنبعث من الكواكب البعيدة على أن هذه الكواكب لا تزال ممعنـة

في الابتعاد في الفضاء . وأن سرعتها تزداد كلما ازداد ابتعادها .
وقد قضى الفلكيون في معرفة ذلك سبعة أعوام بالمراصد المذكورة يراقبون ٨٠٠ كوكب و ٢٦ مجموعة من الكواكب .

علم طبقات الارض

ولقد نشأ بسبب هذه التحقيقات علم سمي « بعلم طبقات الأرض »

وهو علم يختص بدراسة الارض ومعرفة تاريخها ، ونشأتها ، وعمرها ، وكيف تكونت طبقاتها ، وما طرأ على كل طبقة من تغيير ، نتيجة لعوامل جيولوجية أو حيوية . وقد تمكن بعض العلماء من معرفة أشياء مهمة عن الأرض ومكوناتها وما تحت قشرتها . وهو ما يسمونه بعلم الجيولوجيا . وكل هذه الدراسات تضيف في كل لحظة وحين أدلة مشرقة على عظمة الخالق ، ووجود الصانع الحكيم العليم القدير ، وتظهر ومضات من منبع قدرته الذي لا ينضب كما تؤكد معجزة القرآن العلمية . وعظمة الاسلام الباهرة .

خلق الارض

قال الله سبحانه وتعالى :
أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي »

هذه من الآيات المعجزات التي أخبرت بغيب لا يعلمه إلا الله. وجاء العلم الحديث يشير الى ما اشارت اليه هـذه الآية البليغة المعجزة التي تثبت أن القرآن العظيم هو كتاب منزل موحى به وأنه لا يمكن أن يرقى إليه شك. وإثبات ودليل قاطع على وجود الله القدير العظيم الخبير . فقد اختلفت الآراء العلمية منذ القديم على كيفية نشوء الأرض حتى توصل العلماء أخيراً بعد البحوث العميقة ، وبعد الاختراعات العجيبة للمراصد والمجـاهر ، وبعد تقدم أبحاث الجيولوجيا والتحاليل الأرضية توصلوا الى النظرية الصحيحة في خلق الأرض وسميت بنظرية « لابلاس » هـذه النظريـة قررت أن الأرض والشمس ومختلف الكـواكب والأجرام ، انما كانت سديماً في الفضاء . وأن الأرض انفصلت عن هذا السديم .

وهذا هو الذي اشار اليه القرآن العظيم في الآية الـتي صدرنا بها هذا الموضوع قبل « لابلاس » وقبل غيره من علماء الدنيا .

ويؤيد هذه النظرية كما يقول العلماء أدلة كثيرة . منهـا : شدة حرارة باطن الأرض ، اذ ترتفع درجة حرارتهـا درجـة واحدة . كلما نزلنا الى باطنها ثلاثة وثلاثين متراً . أي بعد ثلاثين كيلو متر ، تزيد درجة حرارة باطن الأرض عن قشرتهـا ألف درجـة مئـويـة ومـن هـذه الأدلة أيضـاً ، البراكين الـتي تظهر وتشاهد في أنحـاء شتى من الكـرة الأرضية ، والتي هي عبارة عن ضعف في القشرة الأرضيـة ، تغلبت عليه الأبخرة والغازات الملتهبة في جوف الأرض فشقت لها

طريقاً منشئة فوهة بركان تقذف منه الحمم الذائبة على ارتفاع شاهق ، ولمدد طويلة ومما يؤكد حرارة باطن الأرض كذلك ، العيون الأرضية ذات الماء الساخن كما نشاهدهـا في الأحساء في المملكة العربية السعودية وفي عيون وحمامات بورصة بتركيا . وحمـام العليل في الموصل من القطر العراقي . وعيون قربص المعدنية الساخنة في تونس وفي غيرها من أقطار الأرض وهناك ماء العيون الفائرة ذات الماء الشديد الحرارة جداً وبتقدم العلم أمكن الى حد ما معرفة العناصر المكونة للشمس بتحليل الطيف. فلكل عنصر عند احتراقه لون خاص به ، فوجد أنها تتكون من نفس العناصر التي تتكون منها الأرض . بل اكتشفت عناصر في الشمس قبل اكتشاف وجودها في الأرض .

وبذلك قرر العلم اليوم ما قرره القرآن وأشار إليه قبل ألف واربعمائة عام من أن الأرض والشمس والنجوم أي السماء والأرض وما فيهما انما كانت سديماً انفصل الى اجزاء . « كانتا رتقـاً ففتقناهمـا » فسبحان العليم بكل شيء والذي خلـق كل شيء فقدره تقديراً .

حركة الأرض والشمس

قال الله تبارك تعالى :

والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها

أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون »

أعتبر اكتشاف حركة الأرض بدورانها حول نفسها وحول الشمس من أروع ما اكتشفه علم الفلك وقد سبق القرآن هـذا العلم بما يزيد على ألف عام ولم يصل العلم الحديث الى مـا قرره القرآن من حركة الشمس إلا أخيراً واعتبر العلم إكتشاف هذه الحركة حدثاً جديداً في كتاب الدنيا .

لقد جمعت الآية الشريفة علمـاً أعتبر اكتشافـه في العصر الحديث نصراً للعلم والعلماء إذ تقول الآية أن المجموعة الشمسية وما حولها تتحرك في الفلك . وأن الشمس تجري إلى بعيد فيـه وليس إلى قريب إذ لا ينبغي لهـا أن تلحق القمر بالـنزول إلى فلكه وإنها تجري لمستقر لها .

وحركـة الأرض وردت في غـير هـذه الآية فيقول المولى سبحانه في سورة النمل :

وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون »

فضرب الله المثل بحركة الأرض بمرور الجبال وهي أبرز ما عليها وليس ذلك في يوم القيامة إذ يقول جل شأنه إن في القيامة لن تكون هناك جبال ففي سورة طه :

ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً » وفي سورة الواقعة : وبست الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً »

كما ورد في القرآن أن الله رب المشرق والمغرب وأنـه رب

المشرقين والمغربين وأنه رب المشارق والمغارب ، أي أن المشرق والمغرب يختلف يوماً عن يوم فهناك أقصى وأقرب مشرقين وأقصى وأقرب مغربين ، بينهما مشارق ومغارب هذا قول القرآن الكريم من ألف وأربعمائة سنة فما قول العلم ؟؟.

كان أول من قال بحركة الأرض حول محورها العالم « كوبرنيكس » في عام ١٥٤٣ أي بعد تاريخ القرآن بألف سنة وقرر أن ما يظهر للناس من حركة الشمس والنجوم إنما هو ناتج من دوران الأرض وقد أتهمه رجال الدين عندئذ بالكفر والمروق عن الدين ، وتوالت بعد ذلك أبحاث علماء الفلك حتى وصلوا إلى ما قرره القرآن الكريم ، وليس هناك أبلغ ولا أدق مما يقوله حجة علم الفلك العالم « سيمون » من أن أعظم الحقائق التى اكتشفها العقل البشري في كافة العصور . هي حقيقة أن الشمس والكواكب السيارة وأقمارها تجري في الفضاء نحو برج النسر ، بسرعة غير معهودة لنا على الأرض يكفي لتصويرها أننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يومياً فلن تصل مجموعتنا الشمسية إلى هذا البرج إلا بعد مليون ونصف مليون سنة من وقتنا الحاضر !! أليست هذه إحدى معجزات القرآن العلمية ؟؟ (١)

---

(١) راجع كتاب الله والعلم الحديث للأستاذ عبد الرزاق نوفل صفحة ١٨٠

حركة الأرض وسكونها

وأود هنا أن أنقل ما قاله الشيخ الكبير محمود شكري الآلوسي العالم العراقي المعروف قبل ما يقرب من خمسين سنة حول حركة الأرض وجريانها في كتابه : **دل ما عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان** .وما نقله هو عن علماء الهيئة وهم مسلمون عرف أكثرهم بالتقوى والصلاح ورأيه هو فيما قالوه وفيما سأنقله الكفاية فيما أحسب في بيان الحق الصراح وصوابه الذي نطق به علماء الأسلام الأعلام قبل أن يكون للكفار والمشركين علم فلك ولا نظر في النجوم .

فقد قال رحمه الله في صفحة ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ من كتابه « ومن آيات سورة الرعد قوله تعالى :

وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين أثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون .

وهذه الآية متصلة بالآية التي قبلها — وهي قوله تعالى :

الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش الآية .

فانه سبحانه لما ذكر من الشواهد العلوية ما ذكر أردفها بذكر الدلائل السفلية فقال :

وهو الذي مد الأرض . قال علماء الهيئة الجديدة : الأرض جرم من الأجرام السماوية يعني أنها جرم من الأجرام التابعة للشمس وهي السيارات الدائرة حولها على أبعاد متفاوتة وسميت « النظام الشمسي » وشكلوا لذلك شكلاً في وسط الشمس ثم عطارد وهو أقرب إلى الشمس من سائر السيارات المعروفة ويبعد عن الشمس ٥٨ مليون ميل وبعده الزهرة ثم الأرض ثم قمرها ثم المريخ ثم فسحة واسعة فيها مئتان واثنان وسبعون جرماً صغيراً تسمى النجيمات أو الشبيهات بالسيارات ثم المشترى ثم زحل ثم أورانوس ثم نبتون ثم بعده سهول وخلاء مجهول حتى ينتهي الى أقرب النجوم الثوابت التي يعد كل واحد منها شمساً لا يرى توابعها للبعد الشاسع .

والنظام الشمسي ينتهي عند نبتون أعني لا يعرف سياراً أبعد من نبتون بل أنه إلى الآن لم يكشف عن وجود جرم تابع للنظام الشمسي أبعد من المذكور . والنجوم الثوابت ليست من النظام الشمسي بل هي أنظمة مستقلة ترى شمساً كما ترى هي من عندنا أي نقطاً لامعة منيرة في القبة الزرقاء .

ثم قال الآلوسي رحمه الله :

وقال علماء الهيئة في شأن الأرض أيضاً وحركتها : السيار التابع للنظام الشمسي الذي نحن ساكنون عليه هو الأرض وأنها **كروية الشكل** وأقاموا على ذلك دلائلهم المعلومة في كتبهم

وممن قال بكرويتها شيخ الاسلام بن تيميه رحمه الله » .

وأنها أي الأرض – على عظمها – **سابحـــة في الفضاء وليست** لهــا حافة ينتهي إليها من يجوب سطحها كما اذا مشت ذبابة على بطيخة مغلقة فهي لا تنتهي إلى حافة ، كذلك الأرض الكروية الشكل السابحة في الفضاء ليس لها حافة ينتهي إليها من يجوب سطحها وهي عائمة في الفضاء .

وذهبوا إلى أن حركتها وكذا سائر الأجرام السماوية مـن الغرب الى الشرق لا كما يتراءى أن حركة هذه الأجرام من الشرق إلى الغرب « وهذا ما يقوله علماء الفلك اليوم » .

وذهبوا إلى أن لها – أي الأرض – حركة اخرى غــير الحركة اليومية وهي الحركة السنوية .

فالأرض عندهم حركتان : حركة يومية وهي دورانهـا على محورها مرة من الغرب الى الشرق ومنها اختلاف الليل والنهار . وحركة من الغرب الى الشرق حول الشمس مرة واحدة كل سنة . ومنها تتكون الفصول الأربع .

ثم قال الآلوسي العالم السلفي المنصف رحمه الله . هذا ماذكره علماء الهيئة الجديدة في شأن الأرض **وقــــد تصفحت القرآن العظيم الشأن** فوجدت عدة آيات نطقت بما يتعلق بالأرض من جهة الأستدلال بها على وجود خالقها وعظمة باريها . ولم يذكر فيها شيء **مما يخالف ما عليه علماء أهل الهيئة اليوم** .

ولا ينافي كرويتها مـا يدل ظاهرها على المـد والبسط والفرش فان هذا كله لا ينافى الكرية لأن المـراد من بسطها وتوسعتها ومدها ما يحصل به الانتفاع لمن حلها ولا يلزم من ذلك نفي كريتها لما أن الكرة العظيمة لعظمها ترى كالسطح المستوى وكأن كل قطعة منها سطح مفروش يصح القعود والنوم عليـه والكرة كلما عظمت قربت أقواس سطحها الى الخط المستقيم .

وفي الشريعة دلائل كثيرة تدل على كروية الأرض والسماء . منها اعتراف الأئمة باختلاف المطالع فان الصبح في بعض البلاد يوافق المساء في بلاد أخرى وطلوع الهلال في بعض الآفاق يوافق غيبوبته في بلاد أخرى . وهكذا الشمس وسائر الكواكب . ففي بعض الآفاق يرى القطب الشمالي فوق رؤس أهله والقطب الجنوبي لا يرى أصلاً . وسكنة خط الأستواء يرون القطبين على الأفق وفي بعض البلاد تكون الحـركة فيه دولابية وفي البعض حمائلية وفي البعض رحويـة كل ذلك مبني على كريـة الأرض ولولاها لما كان شيء من ذلك .

وقوله تعالى : « وهو الذي مد الأرض » لا ينافي الكرية وما على الأرض من الجبال والأودية والبحار لا يخـرج الأرض عن الكرية فان اعظم جبل بالنسبة إليها كنسبة سبع عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع .

وقوله تعالى : « وجعل فيها رواسي » معناه جعل فيها جبالاً ثوابت في أحيازها من الرسو أو هو ثبات الأجسام الثقيلة . وفي

الخبر : لما خلق الله تعالى الأرض جعلت تميد فخلق الله الجبال عليها فاستقرت فقالت الملائكة : ربنا خلقت خلقاً أعظم من الجبال ؟ قال نعم ، الحديد ، فقالوا : ربنا خلقت خلقاً أعظم من الحديد ؟ قال : نعم ، النار فقالوا : ربنا خلقت خلقاً أعظم من النار ؟ قال : نعم الماء فقالوا : ربنا خلقت خلقاً أعظم من الماء ؟ قال نعم ـ الهواء ـ فقالوا ربنا خلقت خلقاً أعظم من الهواء قال نعم ـ ابن آدم يتصدق الصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله .

فقال الآلوسي رحمه الله بعد هذا :

وهذا أيضاً لا ينافي حركة الأرض اليومية والسنوية التي قال بها أهل الهيئة . فان الله تعالى لو لم يخلق في الأرض الجبال لمادت أي اضطربت والميد : اضطراب الشيء العظيم فلما ألقى فيها الرواسي وهي الجبال الثوابت انتفى ذلك ووجه كون الالقاء مانعاً في اضطراب الأرض انها كسفينة على وجه الماء والسفينة إذا لم يكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانب إلى جانب بأدنى حركة شيء . وان وضعت فيها أجرام ثقيلة تستقر . فكذا الأرض لو لم يكن عليها هذه الجبال لاضطربت ، فالجبال بالنسبة إليها كالأجرام الثقيلة الموضوعة في السفينة بالنسبة إليها .

والمقصود أن جعل الرواسي فيها لا يعارض حركتها بوجه من الوجوه كما أن السفينة إذا كان فيها أجرام ثقيلة تمنع اضطرابها وميلها من جانب إلى جانب لا ينافي حركتها . وسنزيد ذلك بياناً فيما يناسب الآيات الآتية ان شاء الله تعالى .

انتهى كلام الآلوسي رحمه الله . فهل رأيتم كلاماً أصرح من هذا الكلام في كروية الأرض وحركتها ؟ أليس هذا من مفاخر علمائنا وتوفيق الله لهم في معرفة العلوم الكونية ؟ ان هذا الكتاب « ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان » . انتهى صاحبه من تأليفه ـ كما قلت منذ قرابة خمسين عاماً ومع هذا ففيه من الكلام الواضح الذي يدل على ما بلغوه من الدرجات العليا في العلوم الكونية وحركات الأفلاك رحمهم الله وجزاهم عن الاسلام خير الجزاء .

الافلاك مستديرة ، لا مسطحة

ثم نقل الآلوسي رحمه الله في الصفحة ٥٨ من نفس الكتاب كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في استدارة الأفلاك وأنها مستديرة وليست مسطحة ووافق فيها شيخ الإسلام علماء الحساب اذ قال شيخ الإسلام : فأما قوله تعالى : وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا » فقد قيل هو من الحساب . وقيل بحسبان كحسبان الرحا وهو دوران الفلك فان هذا مما لا خلاف فيه . فقد دل الكتاب والسنة وأجمع علماء الأمة على مثل ما عليه أهل المعرفة من أهل الحساب . من أن الأفلاك مستديرة لا مسطحة » .

والقول بحركة الأرض دليل على عظيم صنعه تعالى في الأرض وهو أبلغ من قولنا بثبوتها وقرارها .

احاطة السماء بالارض والقول بالجاذبية

يقول الآلوسي رحمه الله في صفحة ٦٥ من كتابه : ويجب الجزم بأن السماء ليست محمولة إلا على كاهل القدرة وأنها محيطة بالأرض من سائر جهاتها كما روى عن الحسن .

ثم قال رحمه الله صفحة ١٠٩ عند تفسير قوله تعالى في سورة الروم : ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ... الخ

وما ذهب إليه أهل الهيئة المتأخرون من أن قيام العالم العلوى والسفلى بالجاذبية لا يخالف الآية الكريمة , فالله سبحانه هو الذي أودع تلك الجاذبية وبأمره كانت وفي الخبر : أن الأرض بالنسبة الى السماء الدنيا كحلقة في فلاة وهما بالنسبة الى العرش كذلك .

وعن ابن عباس أنه لا يقدر قدره أحد . وانظروا نسبته الى الكرسي في قوله تعالى في آية الكرسي .. وسع كرسيه السموات والأرض » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لو أن السموات السبع والأرضون السبع بسطن ثم وصلن بعضهن الى بعض ما كن في

سعته ـ أي الكرسي ـ إلا بمنزلة الحلقة بالمفازة . أخرجه ابن جرير وابن المنذر .

والكرسي غير العرش كما يدل عليه ما أخرجه ابن جرير عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي فقال : يا أبا ذر ـ ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ـ وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة .

فسبحان من لا يحيط بشيء من علمه أحد هو الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

الارضون السبع

ما دمت قد بدأت الكلام عن الأرض فلأتم الموضوع وأسير فيه كما سار فيه علماءنا الأعلام ومن هذه الموضوعات الخطيرة التي تكلموا فيها موضوع « الأرضون السبع وما يتعلق بعددها وحقيقتها وأحببت أن أنقل ما قاله أسلافنا ليكون المسلمون اليوم على علم بتقدم سلفهم الصالح في هذه العلوم الكونية التي سبقوا بها الدنيا ولم يلحق بهم أحد لا في القديم ولا في الحديث .

فقد جاء في كتاب ما دل عليه القرآن صفحة ١٢٨ عند **كلامه على سورة الطلاق في قوله تبارك وتعالى : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن .**

لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً » .

وأما الأرضون السبع . فقد حارت فيها عقول المفسرين وذكروا فيها أقوالاً كثيرة وقد جعلها الله تعالى مثل السموات . والمثلية تصدق بالاشتراك في بعض الأوصاف فقال الجمهور : المثلية ها هنا في كونها سبعاً وكونها طباقاً بعضها فوق بعض ـ بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض وفي كل أرض سكان من خلق الله عز وجل لا يعلم حقيقتهم إلا الله تعالى وورد في بعض الأخبار : في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم ـ وعيسى كعيسى . والمراد أن في كل أرض خلقاً يرجعون الى أصل واحد رجوع بني آدم في أرضنا الى آدم ـ وفيهم أفراد ممتازون على سائرهم كنوح وابراهيم وغيرهما فينا . وقول الجمهور هذا أصح سائر الأقوال وهو أن بين كل أرض وأرض من السبع مسافة عظيمة وفي كل أرض خلق لا يعلم حقيقتها إلا الله عز وجل . ولهم ضياء يستضيئون به . ويجوز أن يكون عندهم ليل ونهار ولا يتعين أن يكون ضياؤهم من هذه الشمس ولا من هذا القمر . بل هناك شموس وأقمار لكل كوكب أرضي أو سماوي :

وهنا أود أن أتم ما بدأت بنقله حول ما قالوه عن عدد الأرضين حيث قال المؤلف : ـ

وقد قالوا أيضاً : أن هذه الشمس في عالم هي مركز دائرته

وبلقيس مملكته . بمعنى أن جميع ما فيه من كواكبه السيارة تدور عليها فيه على وجه مخصوص ونمط مضبوط . وقد يقرب إليها فيه ويبعد عنها الى غاية لا يعلمها إلا الله تعالى كواكب ذوات الأذناب وهي عندهم كثيرة جـــداً تتحرك على شكل بيضي وأن الشمس بما لها من توابع كوكب آخر تدور عليـــه دوران توابعها من السيارات عليها وهو فيما سمع أحد كواكب النجم ولهم ظن في أن ذلك أيضاً من توابع كوكب آخر وهكذا . وملك الله العظيم عظيم ــ لا يكاد يحيط بـــه منطقة الفكر ويضيق عنه نطاق الحصر .

وسماء كل عالم كالقمر عندهم ما انتهى إليه هواؤه حتى صار ذلك الجرم في نحو خلاء فيه لا يعارضه ولا يضعف حركته شيء والجسم متى تحرك في خلاء لا يسكن لعدم المعارض . فلتكن كل أرض من هذه الأرضين السبع محمولة بيد القدرة بين كل سماء سماءين وهناك ما يستضيء به أهلها سابحاً في فلك بحر قدرة الله عز وجل ونسبة كل أرض الى سمائها نسبة الحلقـة الى الفلاة . وكذا نسبة السماء الى السماء التي فوقها كما ذكرنا سابقاً .

جل جلال الله ما أوسع ملكه وما أعظم خلقه وقدرته .

فاذا كانت نسبة كل أرض الى سمائها نسبة الحلقة الى الفلاة ونسبة كل سماء الى السماء التي فوقها كنسبة الحلقـة الى الفلاة . وما الحلقة الى الفلاة إلا كنسبة القطرة الى البحر . إذا كانت هذه نسبة المخلوقات العظيمة التي نشاهدها بأعيننا فمـا هي إذا

نسبة بحر العظمة الإلهية الجبارة ؟ قال تعالى : **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً .**

وقال تعالى : **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله .**

سبحان من أحاط علمه بكل شيء . وهو القدير على كل شيء . وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

ولقد ختم الآلوسي رحمه الله قوله في الأرضين بما يأتي :

« وفي الجملة : من صدق بسعة ملك الله تعالى وعظيم قدرته عز وجل لا ينبغي أن يتوقف في وجود سبع أرضين على الوجه الذي قدمناه ويحمل السبع على الأقاليم أو على الطبقات المعدنية والطينية ونحوهما . وليس ذلك مما يصادم ضرورياً من الدين أو يخالف قطعياً من أدلة المسلمين » .

وقوف حركة الارض

يقول الحق تبارك وتعالى :

قل أرايتم أن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرايتم أن جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من آله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون » س ٢٨ آية ٧١ .

الله تبارك وتعالى يذكر الناس بهذه الآية من آيات الكون ويخاطبهم وكأنه يقول لهم : اسمعوا ، وانظروا ، وتبصروا فلو أن الكرة الأرضية توقفت عن دورانها وتعطلت حركتها وأصبح نصفها المواجه للشمس نهاراً دائماً لا يبرح . فمن يأتيكم بليل تسكنون فيه ، وتستريحون من عناء النهار ؟ غير الله سبحانه وتعالى . الذي يقلب الليل والنهار .

ولو كان العكس فوقفت حركة الارض وكانت الشمس الى الجهة الأخرى التي تقابلنا ، وكان علينا الليل سرمداً دائماً فمن يأتينا بضياء غير الله سبحانه وتعالى ؟

وقد ذكر علماء الجيولوجيا والفلك ، أن الأرض بعد انفصالها عن الشمس كانت تدور حول نفسها بسرعة أكبر مما هي عليه الآن ، إذ كانت تتم دورتها حول نفسها مرة كل أربع ساعات ، فالليل ، والنهار ، كانا في مجموعها أربع ساعات فقط ، وبتوالي النقص في سرعة دورانها حول نفسها ، زادت المدة التي تتم فيها دورانها هذا ، فزادت مدة الليل والنهار ، الى خمس ساعات ثم ست ، حتى وصلت الى أربع وعشرين ساعة وهي التي نحن عليها الآن . والله أعلم .

وقد أظهر بعض العلماء أنه تمكن من احتساب النقص في سرعة دوران الأرض ، فوجد أن هذا النقص يبلغ حوالي ثانية واحدة كل مائة وعشرين الف سنة . . . وعليه فبعد ، ٤٣٢ مليون سنة ينقص دوران الأرض بمقدار ساعة ، وعندئذٍ يصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة وهكذا يتوالى النقص .

ويطرد طول النهار والليل ، وعلى هذا الأساس يقول العلماء : إن الأرض لا بد أن تقف يوماً والله أعلم بذلك اليوم ، وعند وقوفها يصبح الوجه المقابل للشمس نهاراً دائماً ، والوجه البعيد عنها ليلاً دائماً . وهذا ما أشار إليه الرب تبارك وتعالى في كتابه العزيز وما ذكّر الناس به من تعاقب الليل والنهار ، وفضل الله على الناس في هذا التعاقب الذي جعل الله الليل فيه سكناً والنهار معاشاً . فله الفضل ، وله الشكر وله الثناء الحسن والحمد لله رب العالمين .



الشمس

ننتقل الآن الى الآية الكبرى من آيات عظمة الله وقدرته وجلاله وهي «الشمس» التي جعلها الله آية النهار ، كما جعل القمر آية الليل وقدره منازل لنعلم عدد السنين والحساب .

قال الله عز وجل :

الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » الرعد .

هذه الشمس التي ما زالت أسرارها في الخفاء. والتي ما زالت موضع حدس وتخمين،هذه الشمس التي ليست مصدر نورنا ونارنا فقط بل هي محور نظامنا السياري ومصدر حياتنا أيضاً . هذه الشمس التي كل ما يكتشف عنها يزيدها غموضاً ولم ترح يد العلم بعد النقاب عن كل ما يجب أن نعلمه عن الشمس . هذه الشمس التي تفقد أربعة ملايين طن من وزنها في الثانية الواحدة من أحتراقها ولم تزل تجدد وزنها وحجمها.هذه الشمس هي آية من آيات الخالق ، وإن هي إلا آية صغيرة تزخر السماء بملايين من

النجوم أضخم منها حجماً أو أكبر سرعة ، وأكثر تألقاً . وقد قال علماء الفلك إنما هي كرة هائلة من الغازات الملتهبة قطرها يزيد عن مليون وثلث مليون كيلو متر ومحيطها مثل محيط الأرض ٣٢٥ مرة ويبلغ ثقلها ٣٣٢ ألف ضعف ثقل الأرض . وحرارة سطحها نحو ٦٠٠٠ درجة سنتجراد . وهذا السطح تندلع منه ألسنة اللهب إلى أرتفاع نصف مليون كيلو متر وهي تنثر في الفضاء باستمرار طاقة قدرها ١٦٧٤٠٠ حصان من كل متر مربع ، ولا يصل للأرض منها إلا جزء من مليوني جزء ، وهي لا تعتبر إلا نجمة ولكنها ليست في عداد النجوم الكبرى وسطحها به عواصف وزوابع كهربائية ومغناطيسية شديدة ، والمشكلة التي حيرت العلماء هي أن الشمس كما يؤخذ من علم طبقات الأرض لم تزل تشع نفس المقدار من الحرارة منذ ملايين السنين ، فإن كانت الحرارة الناتجة عنها نتيجة أحتراقها ، فكيف لم تفن مادتها على توالي العصور ؟ فلا شك أن طريقة الأحتراق الجارية فيها غير ما نعهد ونألف ، وإلا لكفاها ستة آلاف سنة لتحترق وتنفذ حرارتها — وقد زعم البعض أن النيازك والشهب التي تسقط على سطحها تعوض الحرارة التي تفقدها بطريق الأشعاع .

وقد أعلن الدكتور توماس جولد ، نائب مدير مرصد جرينتش بانكلترا ، أن أنفجاراً أحدث في الشمس يوم ٢٣ فبراير — شباط سنة ١٩٥٦ يعادل القوة الناجمة عن تفجير مليون قنبلة

هيدروجينية وأدى هذا الأنفجار إلى قذف الأرض بوابل من الأشعاعات الكونية ، وقال الدكتور في بيانه « أن الزيادة الكبيرة في الأشعاعات الكونية بدأت الساعة ٣٫٤٥ – صباحاً بتوقيت جرينتش واستمرت حوالي ساعتين وهذهِ الزيادة التي تعرضت لها الشمس من الأشعاعات الكونية تعتبر أكبر زيادة في التاريخ » .

ووصف الدكتور الأنفجار بأنه حدث في منطقة أكبر بكثير من مساحة الكرة الأرضية ، وأن قوته كانت من الشدة بحيث لا يمكن أن يدركها العقل البشري . وقال انه في الوقت الذي كانت أجهزة المرصد تسجل هـذه الزيادة في الأشعاع الكوني ، كان جسم كل رجل وامرأة وطفل وكل كائن حي يتلقى ضعف الكمية العادية من الأشعاع في كافة أنحاء العالم . كما أعلن عن انفجار مماثل في ٢٠ مايو مارس ١٩٥٧ .

وينبعث من هذهِ الأنفجارات نور واضح للعيان ، وتنبعث منه أشعة فوق البنفسجية ، وأشعة هرتز ويتراوح طولها بين متر وسنتيمتر ، وينبعث أيضاً من هذه الأنفجارات جزيئـات تقذفها الشمس ، وبعد ٢٠ ساعة من الأنفجار تحدث في الأرض أعظم العواصف المغناطيسية .

وقد أذاع المرصد التابع لمركز أبحـاث السلاح الجوي

الأمريكي ، في ١٣ مارس ١٩٥٦ أنـــه حدث في ذلك اليوم إنفجار على السطح الخارجي للشمس ، إذ أخرجت غازات من بطنها درجة حرارتها عالية بدرجة لا تتصور ، وبلغت سرعـة انطلاق هذهِ الغازات ثلاثة ملايين ونصف ميل من الأميـال في الساعة .

أما مرصد هارفارد ، فقد أذاع بياناً قال فيه الدكتور دونالد مينزل مدير المرصد : أن الأنفجار الذي حدث في الشمس قد سجلته عدة أفلام بواسطة الكونجواف ، وهو جهاز لتسجيل الشعلات النارية والضوئية الخارجة من الشمس . واتضح منـه أن قوة الأنفجار الذي حدث يعادل انفجار ١٠٠ مليون قنبلة هيدروجينية دفعة واحدة ، وأن هذهِ القوة تزيد ألف مرة على قوة الجاذبية الأرضية ، وقد اجتمع في طوكيو خمسون فلكياً وعالماً من علماء تكوين الأرض ، لتبادل النظريات بخصوص الأشعة الكونية » (١) .

(سكون الشمس وجريانها)

والقول بجريانها وسيرها أو ثبوتها وقرارها قـد سبق اليـه العلماء الأعلام ممن اشتغل بهذا العلم من المسلمـين في القديم والحديث وغيرهم .

---

(١) راجع كتاب : الله والعلم الحديث للأستاذ عبد الرزاق نوفل .

أما القول بثبوتها وقرارها كما يثبت الجبل في محله والسهل في مكانه فلم يقل به أحد — فيما نعلم والذين قالوا بقرارهـا قالوا : هي ثابتة ومتحركة في آن واحد . ثابتة على محورها الذي أرساه الله لها ومتحركة حول هذا المحور أي هي دائرة حول نفسهـا ومثلها مثل المروحة السقفية الكهربائية فهي ثابتة في سقفها وهي متحركة حول نفسها وبحركتها ينطلق الهواء المطلوب ، وهؤلاء استدلوا بقوله تعالى : والشمس تجري لمستقر لها وفسروا المستقر بالمحور .

وقد قال بمثل هذا القول : رجال من سلف هذه الأمـة الخيار وهم من خير العصور بـل هم من العصر الأول الذي هو خير خير العصور فقد ورد عن التابعي المشهور مجاهد رحمه الله أن قال في تفسير قوله تعالى :

« والشمس والقمر بحسبان » إنه كحسبان الرحا وتبعه على ذلك بعض العلماء وهذا يوافق قول من قال انهـا تجري حول نفسها وهل يجد القارىء الكريم فرقاً بين المثل الذي ضربتـه وهو المروحة حيث تتحرك وهي ثابتة وبين ما قاله مجاهد ومثله بالرحا حيث تتحرك كذلك حول نفسها وهي ثابتة بمكانها ؟ .

وقد ذكر قول مجاهد هذا الإمام البخاري رحمـه الله في صحيحه في كتاب : بدء الخلق . حيث قال :

باب صفة « الشمس والقمر بحسبان » قال مجاهد :

كحسبان الرحا . وقال غيره بحسبان ومنازل لا يعدوانها وحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان . قال الحافظ بن حجر في فتح الباري عند هذه الترجمة ما نصه :

قوله قال مجاهد كحسبان الرحا وصله الفريابي في تفسيره من طريق بن أبي نجيح عن مجاهد ومراده انهما يجريان على حساب الحركة الرحوية الدورية وعلى وضعها .

قال وقال غيره حساب ومنازل لا يعدوانها ووقع في نسخة الصفاني عن بن عباس وقد وصله عبد بن حميد سن طريق أبي مالك وهو الغفاري مثله وروى الحربي والطبري عن ابن عباس نحوه بإسناد صحيح وبه جزم الفراء » . انتهى ونقل هذا المعنى عن مجاهد جماعة من المفسرين الكبار الائمة ، منهم الإمام جعفر بن جرير والإمام أبو عبد الله القرطبي وغيرهما .

كما نُقِل عن مجاهد رحمه الله وجه آخر يخالف هذا الوجه وذلك فيما رواه عنه الإمام أبو جعفر بن جرير في تفسيره حيث قال عند تفسير قوله جل وعلا في سورة الأنعام « والشمس والقمر حسباناً » حدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد . والشمس والقمر حسباناً قال هو مثل قوله : وكل في فلك يسبحون ومثل قوله : الشمس والقمر بحسبان » . انتهى

وقال ابن حبان في تفسيره البحر المحيط : قال مجاهد :

الحسبان: الفلك المستدير شبهته بحسبان الرحا وهو العود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة » .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي وأبي محمد ابن حزم وأبي الفرج ابن الجوزي .. أنهم حكوا الإجماع على أن الأفلاك مستديرة » .

كما ذكرنا ذلك سابقاً :

رأي آخر

قال المفسر الشهيد سيد قطب رحمه الله في تفسيره في ظلال القرآن عند قوله تعالى : والشمس تجرى لمستقر لها » ما نصه :

والشمس تدور حول نفسها وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها ، ولكن عرف أخيراً أنها ليست مستقرة في مكانها إنما هي تجري ، تجري فعلاً ، تجري في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلاً في الثانية والله ربها الخبير بها وبجريانها وبمصيرها يقول : انها تجري لمستقر لها هذا المستقر الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إلا هو سبحانه ولا يعلم موعده سواه . وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف حجم أرضنا هذه وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء لا يسندها شيء ندرك طرفاً من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قوة وعن علم الى أن قال رحمه الله عند قوله تعالى : وكل في فلك يسبحون » .

وحركة هذه الأجرام في الفضاء الهائل أشبه بحركة السفينة في الخضم الفسيح فهي مع ضخامتها لا تزيد على أن تكون نقطاً سابحة في ذلك الفضاء المرهوب وأن الإنسان ليتضاءل ويتضاءل وهو ينظر الى هذه الملايين التي لا تحصى من النجوم الدوارة والكواكب السيارة متناثرة في ذلك الفضاء سابحة في ذلك الخضم والفضاء من حولها فسيح فسيح وأحجامها الضخمة تائهة في ذلك الفضاء الفسيح » .

قال الآلوسي رحمه الله في كتابه — ما دل عليه القرآن صفحة ١١٨ « والذي قاله المتأخرون من الفلاسفة أهل الفن الجديد المتشرعين — وانظروا الى قولة المتشرعين .

إن هذا الجرم العظيم — الشمس — مركز للسيارات ويحسب لخفاء حركته — ثابتاً — وليس كذلك لأن الحركة لازمة له وقد حققوا حركة الشمس من الشامات المرئية في قرصها بواسطة الآلة الرصدية التي يشاهد بها أحوال الأجرام الفلكية فظهرت لهم أوضاع مختلفة في شعاعها وشامات سود في قرصها .

وهذه الشامات تبدو من طرفها الشرقي وتغيب في طرفها الغربي في نحو أربعة عشر يوماً . وبعد مثل هذه المدة تظهر من طرفها الشرقي وهذه تدل على أنها — مع الشامات — تتم الدورة في سبعة وعشرين يوماً واثنتي عشرة ساعة وعشرين دقيقة . فاذا نقص من ذلك يوم واثنتان وعشرون ساعة واثنتا عشرة دقيقة للدور السنوي للأرض بقى لدور الشمس على **محورها**

خمسة وعشرون يوماً وأربع عشر ساعة وثمان دقائق .

وبهذا يثبت أنها جرم كروي ذو قطبين مثل الأرض بدور على مركز آخر .

قالوا : وهذا هو المراد بقوله تعالى : والشمس تجري لمستقر لها ــ فانه يدل على دوران الشمس على مركز آخر . ويقال : إنه كوكب من كواكب الثريا ــ ويقال : معنى جريانها لمستقر أنها تجري على مركزها ومحورها » انتهى كلام الآلوسي والله أعلم .

ثم نقل أقوال علماء النجوم في تقسيم النجوم الى ثوابت وسيارات . فقال في صفحة ٣٣ والمنجمون يقسمون النجوم الى ثوابت وسيارات والسيارات عند المتقدمين سبع بأجماعهم . وعند المنجمين اليوم . وهم أهل الهيئة الجديدة . أن الشمس في وسط الكواكب التي تدور حولها وأنها أعظم من الأرض بألف ألف مرة وثلاث مئة وثمانية وعشرين ألف مرة وأن لها حركة على نفسها وقد استنبط بعض علمائهم من تحول كلفها الذي يظهر على ظهرها ورجوعه في أزمنة مخصوصة . أنها تدور على نفسها في خمسة وعشرين يوماً واثنتي عشرة ساعة **وجزموا بأن ليس لها حركة حول الأرض . بل للأرض حركة حولها وأن الأرض احدى السيارات وهي عندهم :**

عطارد ــ الزهرة ــ الأرض ــ المريخ ــ المشتري ــ زحل ــ اورانوس ــ نبتون . الخ .

ثم قال : ولم يعدوا القمر من السيارات بل من سيارات السيارات لأنه يدور حول الأرض ودورانها حول الشمس وهو عندهم دون عظم الأرض بتسع وأربعين مرة . وزعموا أن بعد الشمس عن الأرض أربعة وثلاثون ألف ألف فرسخ فرنسي وهو المقدر بمسافة ساعة وخمسمائة ألف فرسخ . ومع هذا يصل نورها إلينا في مدة ثماني دقائق وثلاث عشرة ثانية . وأن البعد الأبعد للقمر عنها واحد وتسعون ألفاً وأربعمائة وخمسون فرسخا والبعد الأقرب له ثمانون ألفاً ومائة وخمسة فراسخ فيكون البعد الأوسط نحو ستة وثمانين ألف فرسخ .

وكانوا يزعمون من قبل أن ليس للشمس حركة على كوكب آخر وانما لها حركة على نفسها فقط ثم أدركوا أن لها حركة على كوكب من كواكب الثريا وجوزوا أن يكون لذلك الكوكب حركة على كوكب آخر أبعد منه وهكذا الى ما لا يعلمه إلا الله تعالى فان سعة الجو غير متناهية عندهم وفيه من الكواكب ما لا يتناهى أيضاً وزعموا أن من هاتيك الكواكب ما لا يصل نوره الى الأرض في مائة سنة بل أكثر مع شدة سرعة الضوء كما أشير إليه آنفاً في بيان حركة ضوء الشمس .

والنجوم الثوابت لا يعلم عدتها إلا الله تعالى والمرصود منها ألف وخمسة وعشرون نجماً بادخال « الضفيرة » ومن أخرجها قال : هي ألف وأثنان وعشرون نجماً . ورتبوا الثوابت على ست أقدار وسموها أقداراً متزايدة سدساً سدساً وجعلوا كل

قدر على ثلاث مراتب : أعظم وأوسط وأصغر . ولهم تقسيمات لها أخر باعتبارات أخر بثوا عليها ما بثوا ولا يكاد يسلم لهم إلا ما لم يلزم منه محذور من الدين » .

أكتفى بهذا المقدار من النقل ولا أريد أن أسترسل إلا أني أود أذكر كيف أن العلماء تكلموا في الشمس والقمر وتكلموا في النجوم الثوابت والسيارات وقدروا الأبعاد بين الأرض والشمس وقدروا مقدار ضخامة الشمس عن الأرض وأن الشمس أكبر من الأرض بمليون وثلاثمائة وثمانية وعشرين ألف مرة .

وأن الشمس تبعد عن الأرض بأربعة وثلاثين مليون فرسخ فرنسي وقاسوا بعد القمر عنها وبينوا البعد الأبعد والبعد الأقرب والخلاصة أنهم لم يتركوا باباً إلا طرقوه وسواء كانوا مخطئين في تقديراتهم أم مصيبين فأنهم اجتهدوا في علوم الكون وتكلموا فيها على حسب ما وصل إليه علمهم وما صنعوا ذلك إلا بوحي من دينهم وأملاً في خدمة هذا الدين الذي وهبوه كل شيء حياتهم وأموالهم وجهدهم وعلمهم وجهادهم وسهرهم وعرقهم في سبيل الوصول إلى الحقائق العلمية التي تدعو إلى الايمان بالله العظيم الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً . والذي خلق السموات والأرض ولم يعيي بخلقهن تبارك ربنا وتعالى وله الحمد على ما أنعم وتفضل ورحم الله علماءنا الأعلام وجزاهم عما قدموا خير ما يجزى عاملاً عن عمله .

كتاب الانواء

هل تعلم أيها القارىء الكريم أن العالم المسلم عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الإمام في اللغة وفي الأدب وصاحب أدب الكاتب وعيون الأخبار – وتأويل مشكل القرآن . والذي ولد في بغداد عام ٢١٣ هـ يكاد يكون أول من ألف في علم النجوم والأنواء وله كتاب الأنواء الذي تكلم فيه عن النجوم وكيفية استدلال العرب بها والماهر في هذا العلم من قبائلهم ورجالهم وأفذاذهم فانظر إلى الفضل والبحث في العلوم .

عالم آخر في الفلك

وهل تعلم أن من علماء الهيئة المسلمين الذين رصدوا وألفوا وسهروا الليالي الطوال في مناجاة النجوم ورصد حركاتها وسكناتها والناس نيام والعالم في غفوة وغفلة . الشيخ أبو جعفر نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي الفيلسوف العالم بالأرصاد والرياضيات والعلوم العقلية وقد ولد في طوس عام ٥٩٧ هـ ومن مؤلفاته الكثيرة تربيع الدائرة – تحرير أصول أقليدس – تحرير المجسطي في الهيئة . وكان يراقب النجوم والقمر ويرصد حركاتها بمرصد مراغة في مصر وبعد السنين الطوال طلع على الناس بكتبه الفذة في علم الفلك وصحح فيها ما أخطأ فيه علماء اليونان . ومـا

المحرف فيه بطليموس من آراء لا تنطبق مع العلم الصحيح ولو أردنا أن نزيد لأتينا بالشيء الكثير الغزير من فعل سلفنا الصالح رحمهم الله ورضي عنهم وأرضاهم وحشرنا وأياهم مع المتقين الأبرار .. والله أعلم .

القمر

يقول علماء الفلك : القمر أقرب الأجرام السماوية للارض وأقل حجماً منها ، يدور حول الأرض مرة كل شهر ، وجاذبية القمر مع جاذبية الشمس هي التي تسبب بقدرة الله المد والجزر في البحر . وقد درس الفلكيون أحوال القمر الجغرافية ووصفوها ورسموا لها الرسومات لتبين جباله وأوديته يقول اللورد افبري : « إن سطح القمر صحاري وقفار تتناهض فيها البراكين الخامدة ، وجباله ضخمة عظيمة يبلغ ارتفاعها ٤٢ الف قدم . بزيادة تقرب من ١٣ الف قدم عن أعلى جبل على سطح الأرض . وفوهات البراكين هائلة العظمة يبلغ قطرها ٧٨ ميلاً . ويقولون : ان جبال القمر أقدم بكثير من سلاسل الجبال الأرضية بملايين السنين » ولم تشاهد حتى الآن آثار لوجود حياة بشرية أو حيوانية أو نباتية أو أحياء على وجه القمر .

جزء مما قالوه في القمر

ولقد رصد أسلافنا القمر قبل أهل الشرق والغرب وقبل الروس والأمريكان واهتموا اهتماماً عجيبا بتحقيق الأمر فيه

ويظهر لي — والله أعلم — أنه لو كانت لهم من الوسائل ما لعلماء الفلك في هذا العصر لحاولوا الصعود إليه لكشف أمره وتحقيق العلم فيه والله أعلم .

وقد جاء في كتاب مـا دل عليه القرآن صفحة ١٢٩ وقـد غلب على ظن أكثر أهل الحكمة الجديدة أن القمر عـالم كعالم أرضنا هذه وفيه جبال وبحار ويزعمون أنهم يحسون بها بواسطة أرصادهم . وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه .

هذا ما قاله مؤلف الكاتب قبل ما يقرب من خمسين سنة ونقله عن علماء مسلمين . قالوه قبل مئات السنين وأرجو أن يلتفت القارىء الكريم إلى عبارتين وردتا في هذه الفقرة الـتي نقلتها من الكتاب .

الأولى : أن القمر عالم كعالم أرضنا هذه وفيه جبال وبحار وأنهم أحسوا بها في مراصدهم .

والثانية : قوله وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه .

ألا تدل هاتان العبارتان على العجب العجاب الذي وصل إليه علماء المسلمين منذ قرون وقرون أما كان الواجب علينا أن نتمم ما بدأوه من بحوثهم العلمية المستفيضة في علوم الكون والفلك وغيرهـا ؟ وهل سار علماؤنا في هذا الطريق إلا بـأمر من الله ووحي من فهم كتـاب الله وسنة رسول الله ﷺ فالله تبـارك وتعالى حينما يقول وهو يخاطب رسوله ليخاطب الناس : قـل

أنظروا ماذا في السموات والأرض » . فهل المراد مجرد النظر للتفرج والتفكه والتسلي ؟ أم هو النظر للبحث والعلم والتحقيق والاعتبار والادكار ؟ كما سبق وقلنا .

نور القمر من ضوء الشمس

ذكروا في استفادة نور القمر من ضوء الشمس أقوالاً عديدة واعتبروا ذلك من الحدسيات والمسلمات لاختلاف أشكاله بحسب قربه وبعده من الشمس ويأتي قول العالم المسلم المهندس الفلكي هو أول من ألف في علم الضوء والبصريات في العالم . وهو أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم والذي ولد عام ٣٥٤ ﻫ وله مؤلفات عديدة ترجم أكثرها إلى اللغات المختلفة فقال عن قول العلماء في القمر : أنه لا يفيد الجزم بالاستفادة لاحتمال أن يكون القمر كرة نصفها مضيء ونصفها مظلم . ويتحرك على نفسه فيرى هلالاً ثم بدراً ثم ينمحق وهكذا دائماً . ومقصوده أنه لا بد من ضم شيء آخر إلى اختلاف الاشكال بحسب القرب والبعد ليدل على المدعى وهو حصول الخسوف عند توسط الأرض بينه وبين الشمس .

قال الشيخ ابن باديس رحمه الله في تفسيره صفحة ٦١ عند قوله فمحونا آية الليل: وكما أفادت الآية زوال نور القمر ، بعد أن كان بمقتضى لفظة :

« فمحونا »ومدلولها لغة — فإنها تشير إلى أن نوره مكتسب ،

وتومىء إلى أنه من الشمس . وذلك أننا نرى فيه نوراً مع علمنا أن نوره قد أزيل ، فنعلم قطعاً أن ذلك النور ليس منه . وإذا كان مذكوراً مع الشمس المبصرة في الاستدلال والإمتنان . ومصاحباً لها في الظهور فنوره جاءه منها وهي التي أبصرته .

منازل القمر

ذكر الآلوسي رحمه الله عند قوله تعالى والقمر قدرناه منازل — قال : قدر للقمر منازل أو قدر مسيره في منازل وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره بالنسبة إلى الشمس ولأن منازله معلومة محسوسة ولكونه عمدة في تواريخ العرب ولأن أحكام الشرع منوطة به في الأكثر .

والمنازل ثمانية وعشرون منزلاً وهي : على ما ذكره ابن قتيبة في كتاب — الأنواء — وغيره ممن ألف في الأنواء . الشرطان — الذراع — الثريا — الدبران — الهنعة — البطين — النثرة — الطرف — الجبهة — الزبرة — الصرفة — العواء السماك الرامح — والسماك الأعزل — الغفر — الزباني — الاكليل — القلب — الشولة — النعائم — البلدة — سعد الذابح — سعد بلع — سعد الأخبية — وفرخ الالو المقدم — والفرخ المؤخر — وبطن الحوت.

وهي مقسمة على البروج الاثني عشر المشهورة فيكون لكل برج منزلان وثلث . والبرج عندهم ثلاثون درجة حاصلة من ثلاثمائة وستين جزءاً هي أجزاء دائرة البروج — على اثني عشر —

والدرجة عندهم منقسمة ستين دقيقة وهي منقسمة ستين ثانية وهي منقسمة ستين ثالثة وهكذا الى الروابع والخوامس والسوادس وغيرها .

ويقطع القمر بحركته الخاصة في كل يوم بليلته ثلاث عشرة درجة وثلاث دقائق وثلاثاً وخمسين ثانية وستة وخمسين ثالثه . وتسمية ما ذكر « منازل » مجاز لأنه عبارة عن كواكب مخصوصة من الثوابت قريبة من المنطقة والمنزلة الحقيقية للقمر ، الفراغ الذي يشغله جرم القمر . فمعنى نزول القمر في هاتيك المنازل مسامتته اياها . وكذا تعتبر المسافة في نزوله في البروج لإنها مفروضة أولاً في الفلك الأعظم .

وأما تسمية نحو الحمل — الثور — الجوزاء — بذلك فاعتبار المسامتته أيضاً .

وللثوابت حركة على التوالي وإن كانت بطيئة وهي حركة فلكه . ومثبتوا ذلك إختلفوا في مقدار المدة التي تقطع بهاجزءاً واحداً من درجات منطقته فقال بعضهم هي ست وستون سنة شمسية أو ثمان وستون سنة قمرية . وذهب ابن الأعلم — وهو أحد علماء الهيئة المسلمين في بغداد عاش في القرن الرابع — إلى إلى أنها سبعون سنة شمسية . وطابقه الرصد الجديد الذي تولاه نصير الدين الطوسي في مراغة .

وهذا قليل من كثير مما بحثه علماؤنا في القمر وأبراجه ومنازله ونوره وحركته . والمعجزة الربانية في خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين .

من معجزات القرآن في القمر

ظلام القمر

يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الإسراء :

وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة ، لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا »

ولله تبارك وتعالى في سور القرآن ، وعالم الاكوان ، وخلق الإنس والجان ، والنبات والحيوان ، آيات بينات وحجج واضحات دالات على وجوده تعالى وقدرته ، وإرادته ، وعلمه ، وحكمته ، ونعم سابغات موجبات لحمده عز وجل وشكره ، وعبادته بخشوع وخضوع :

وكان الليل والنهار « آيتين » بتعاقبهما مقدرين بأوقات متفاوته بالزيادة والنقص ، في الطول والقصر : على نظام محكم ، وترتيب بديع ، بحسب الفصول الشتوية والصيفية وبحسب الأمكنة ومناطق الأرض : المناطق الإستوائية والقطبية الشمالية ، والجنوبية ، وما بينهما . حتى يكونا في القطبين ليلة ويوماً في السنة : ليلة فيها ستة أشهر هي شتاء القطبين ، ويوم فيه ستة أشهر هو صيفهم . فهذا التقدير والترتيب والتقدير والتيسير دليل

قاطع على وجود الخالق الحكيم القدير اللطيف الخبير . والليل في نفسه آية ، وفيه آيات، وأظهر آياته هو القمر . فيقال في القمر : « آية الليل » . والنهار في نفسه آية ، وفيه آيات ، وأظهر آياته هي الشمس ، فيقال في الشمس : آية النهار .

يقول علامة الجزائر الشيخ المجاهد عبد الحميد بن باديس رحمه الله في تفسيره صفحة ٥٩ :

بعد ما ذكر تعالى الليل والنهار آيتين في أنفسهما ، ذكر أظهر آيات كل واحد منهما وأضافها إليه . فقال تعالى : فمحونا آية الليل ... »

وليس محو القمر ، وأبصار الشمس ، متأخراً عن الليل والنهار . وكيف ؟ وما كان الليل والنهار إلا باعتبار إضاءة الشمس لجانب ،وعدم إضاءتها لمقابله : فليست الفاء في «فمحونا» للترتيب في الوجود ، وإنما هي للترتيب في الذكر وللترتيب في التعقل : فإن القمر والشمس بعض من آيات الليل والنهار والجزء متأخر في التعقل عن الكل .

ثم قال رحمه الله :

« فمحونا » : المحو هو الإزالة : إزالة الكتابة من اللوح ، وإزالة الآثار من الديار . فمحو « آية الليل » إزالة الضوء منها . وهذا يقتضي أنه كان فيها ضوء ثم أزيل . فتفيد الآية أن القمر كان مضيئاً ثم أزيل ضوؤه فصار مظلماً .

وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من

الشمس. واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر – كالأرض – كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين ، شديد الحمو والحرارة ، ثم برد ، فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد .

لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية : ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه ﷺ وبرهاناً لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم ، وتقدموا في العرفان .

فإن ظلام جرم القمر لم يكن معروفاً أيام نزول الآية عند الأمم إلا أفراداً قليلين من علماء الفلك . وأن حمو جرمه أولاً ، وزواله بالبرودة ثانياً ، ما عرف إلا في هـذا العهد الأخـير . والذي تلا هذه الآية وأعلن هذه الحقائق العلمية الخطيرة منذ نحو أربعة عشر قرناً من الزمن إنما هو نبي أمي ﷺ . من أمة أمية . كانت في ذلك العهد أبعد الأمم عن العلم . فلم يكن ليعلم هذا ويقوله إلا بوحي من الله الذي خلق الخلائق وهو العليم بها وبحقائقها .

كفاك بالعـــلم في الامي معجزة
في الجاهلية والتأديب في اليـــتم

السنة الشمسية والسنة القمرية

يقول الحق تبارك وتعالى :

ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً »

فالله سبحانه وتعالى يقص قصة أهل الكهف ، ويخبر رسوله الامين ﷺ أن أهل الكهف لبثوا في كهفهم ثلاث مائه سنين وازدادوا تسعاً .

فلما سمع نصاري نجران تلك الآية ، قالوا : أما الثلاثمائة فقد عرفناها ، وأما التسع التي زادت على مدة بقائهم في «الكهف» فلا علم لنا بها،فقال الله لرسوله :قل الله اعلم بما لبثوا .

فما هي العلاقة بين الثلاثمائة سنة والثلاثمائة وتسع ؟؟ لقد وردت هذه الآية من كتاب الله قبل اربعة عشر قرناً من الزمن ولنسمع الآن ما يقوله العلم الحديث في مثل هذا الامر :

يقول علماء الفلك : تبلغ السنة الشمسية ، وهي التي تسمى بالانقلابية ، لانها عبارة عن مدة تنقضي بين مرورين متتاليين للشمس بنقطة اعتدال وهي : ثلاثمائة وخمس وستون يوماً شمسياً وخمس ساعات وتسع واربعون دقيقة . وينتج بمرورها الصيف والخريف والشتاء والربيع .

والسنة القمرية تتكون من ثلاثمائه وأربعة وخمسين يوماً وثماني ساعات وثمان وأربعين دقيقة . وهي المدة بين كسوفين متواليين مقسومة على عدد حركات القمر الدائرية .

والفرق بين السنتين الشمسية والقمرية . عشرة أيام واحدى عشرة ساعة ودقيقه واحدة بمقتضى الرصد الايلخاني وكل من السنتين تكون بسيطة وكبيسة . ولهذا يكون شهر شباط — فبراير في كل أربع سنوات تسعاً وعشرين يوماً إذ ينضم إليه فروق ثلاث سنين لانتظام الحساب الجاري .

والاشهر العربية تكون ثلاثين يوماً وتسعة وعشرين يوماً للسبب نفسه . فتكون السنة القمرية بانقضاء اثني عشر شهراً قمرياً . والشمسية عند وصول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من البروج الاثني عشر .

وبذلك يكون في كل ٣٣ سنة فرق ٣٥٨ يوماً وكسور أو ما يقارب من السنة . وعليه تزيد كل مائة سنة ثلاث سنوات وتكون الثلاثمائة سنة ٣٠٠ الشمسية يقابلها ٣٠٩ قمرية . وهذا هو الذي قرره القرآن قبل أن يعرف الناس علم الفلك أو علم الهيئة فسبحان الملك العظيم ، الذي احاط بكل شيء علماً .

النيازك والمذنبات

يقول علماء الفلك :

المذنبات هي اجرام سماوية تسبح حول الشمس ولا تقترب منها إلا خلال فترات قصيرة جداً من زمن دورانها حولها وهو يقدر بعشرات السنين ، وعندما تقترب تضيء بشدة وتلمع مخلفة وراءها ذيولاً من الغازات المتوهجة ، ولهذا السبب يسمى المذنب عادة « النجمة أم ذيل » وترسل هذه الاجرام الى الفضاء أكداساً من جسيمات غازية وأخرى مشحونة بالكهرباء واشعاعات فتاكة مختلفة الصفات والطاقات .

وتتباين حجوم المذنبات تبايناً عظيماً ، فقد يصل حجم رأس أحدها حجم الشمس بينما يمتد ذيله عبر ملايين الكيلو مترات كل ذلك بالرغم من أن مقدار المادة المتجمعة فيه قليلة ولا تتناسب مع هذه الأبعاد الخيالية وفي عام ١٧٧٠ اقترب مذنب من الأرض حتى أصبح على بعد نحو مليونين من الكيلو مترات وقدر الفلكيون انه لو كانت كتلته تضاهي كتلة الأرض لطالت السنة عندنا ثلاث ساعات تحت تأثير قوة جذب المذنب ، ولاستمر مداها محتفظاً بهذه الزيادة ، والذي حدث فعلاً أن السنة عندنا لم تزدد بفعل جذب هذا المذنب إلا بقدر لم يصل إلى

الثانية الواحدة ، مما دل على أن كتلته لم تكن أكثر من جزء واحد من عشرة آلاف جزء من كتلة الأرض ، ولقد أثبت التحليل الطيفي لأضواء المذنب وطاقاته الأثيرية المنبعثة منه على وجود الكربون والآزوت في الذيل وبعض المعادن في الرأس .

إما النيازك فهي عبارة عن أجسام مادية مختلفة الحجوم والصفات ، يصل بعضها إلى أحجام هائلة ، وهي كثيراً ما تصل إلى سطح الأرض بسبب كبر حجمها ، ومن أهم النيازك التي وصلت سطح الأرض وأشهرها نيزك سيبيريا العظيم الذي سقط عام ١٩٠٨ ، وهز الأرض بعد أن عكر جوها ، ولقد سبب تلفاً عظيماً في دائرة قطرها على ٤٠ كيلو متراً ، وهناك أيضاً نيزك الأريزونا بأمريكا ، وقد أحدث هوة عميقة في سطح الأرض زاد قطرها على ميل كامل ، كما زاد عمقها على ٢٠٠ متر ، وقد نجم عن تصادم ذلك النيزك بسطح الأرض أن أنفجر من شدة الصدمة وتطايرت اجزاؤه في صورة شهب تناثرت حول الحافة بحيث غطت مساحة واسعة جداً ، ولعل أكبر حفر الأرض التي نجمت عن سقوط النيازك هي تلك التي تمخضت عنها بحيرة بوستاي في ساحل الذهب بغرب أفريقيا ، ويبلغ قطرها نحو ثمانية كيلو مترات كما يبلغ عمقها نحو كيلو متر .

حقائق عجيبة ومذهلة عن الكون

لا تظن أن الخيال هو صاحب هذه « الحوادث » المثيرة .

أن الخيال لا يمكن أن يصل إلى هذه الحقائق العجيبة المذهلة التي توصل إليها علم الفلك الحديث . إن الخيال مثلاً لا يمكن أن يتصور أن مرصد كاليفورنيا التقط أخيراً صورة عمرها ٦ آلاف مليون سنة .

ان علماء الفلك أعلنوا حديثاً أن هذه الصورة العجيبة أرسلت من أحد النجوم ، واستمرت رحلتها ٦ آلاف مليون سنة لتصل إلى الأرض ،وحقائق أخرى غريبة اكتشفها الانسان تؤكد كلها أن الأرض ما هي إلا فقاعة في محيط .. حقائق أقل ما توصف به أنها .. مذهلة ، مذهلة .. القصة بدأت أثناءالحرب العالمية الثانية .. فقد لاحظ العلماء في ذلك الوقت ، أنه كلما مرت طائرة في مواجهة قرص الشمس ، ظهرت على شاشات الرادار ، أشعه غريبة تتسبب في – زغللة – شاشات الرادار .
وتساءل العلماء : ما سر هذه « الزغللة » ..؟

وقال بعضهم : أن الشمس لا تقتصر على إرسال أشعة الضوء فحسب ، بل ترسل أيضاً موجات راديو .

وأثارت هذه الظاهرة الشاذة خبراء الرادار . وما أن أنتهت الحرب ، حتى تحول فريق منهم إلى القيام بدراسات فلكية هامة تبحث عن خبايا الكون وأسراره .

وراح هذا الفريق يفتش عن الأجرام السماوية التي أرسلت أشعة الراديو .. أين هي ؟ وكم تبعد عن الأرض ؟

وبعد محاولات طويلة مضنية ، استطاع عالم الفلك البريطاني (سبريل هازارد) أن يحدد بواسطة تلسكوب الراديو ، موقع — نجمة جديدة قوية اطلق عليها أسم (٣-ج-٢٧٣) ..واتصل هازارد بزميل له هو البروفيسور — شميدت —. الذي يعمل على أقوى تلسكوب بصري بمرصد كاليفورنيا ، وطلب منه أن يحسب موقع هذه النجمة وأن يحسب هذه المسافة التي تبعدها عن الأرض .

ونفذ شميدت طلب زميله ، وأصيب بشبه ذهول عندما راح يستعرض النتائج التي توصل اليها .. لقد ثبت له أن النجمة الجديدة تبتعد عن الأرض بسرعة ١٥٠ ألف ميل في الثانية الواحدة ..

وعندما فكر شميدت في المسافة التي تفصل بين هذه النجمة، وبين الأرض أصيب بالدوار . أن النجمة تبعد عن الأرض بمسافة ١٥٠٠ مليون سنة ضوئية .. فإذا عرفنا أن سرعة الضوء في الثانية هي ١٨٠ الف ميل لأمكن لنا أن نعرف لماذا ذهل

عالم الفلك .. ان المسافة التي تفصل بين النجمة والارض لا يمكن لعقل أن يتصورها .

وآثار هذا الاكتشاف لغزاً لم يكن من السهل حله .. فالاجرام السماويه المعروفة إلى الآن هي أما نجوم ، وأما مجموعات هائلة من النجوم ، متجمعة في موقع معين من السماء . وتعرف هذه المجموعات بالمجرات .

وأثبتت الحسابات أن (٣ ج - ٢٧٣) لم يكن نجماً ولا مجرة فلا يمكن رؤية نجمة عند هذه المسافه الشاسعة في أي حال من الأحوال .. والضوء المنبعث منه أقوى ٢٠٠ مرة من الضوء الذي ينبعث من مجرة على مثل هذا البعد ، كما أنه أصغر حجماً من أي مجرة .

وكان من البديهي أن يثير هذا الجرم الغريب انتباه جميع علماء الفلك في العالم .. وذهبوا يبحثون في السماء لاستكشاف اجرام أخرى مماثلة له .. وفي عام واحد اكتشفوا ٣٥ منها .. أطلقوا عليها أسم - أشباه النجوم - .

للكون الواسع تاريخ

ان الضوء في انتقاله الينا من - أشباه النجوم - يقطع مسافات شاسعة أنه يستغرق في الرحلة ٦ آلاف مليون سنة ، ولذلك فالمنظر الذي نراه اليوم لهذه الاجرام السماوية النائية هو

المنظر الذي كانت عليـــه منذ ٦ آلاف مليون سنة ، وفي ذاك الوقت لم تكن الشمس ولا المجموعه الشمسيه موجودة بعد٠٠

أذ أن عمر الشمس هو ٥ آلاف مليون سنة فقط كما يقولون والله اعلم.

وهكذا تفسح لنـا ـ أشباه النجوم ـ فرصة القـاء نظرة فاحصة الى الكون كما كانت عليه منذ أزمنة سحيقة في القدم .. وسماتها المميزة التي تختلف عن السمات التي تميز العوالم التي نعرفها ، هي قرائن عما كان عليه الكون في ذاك التاريخ البعيد .

فمثلاً ، المجرة التي ننتمي إليها وهي المجرة التي تضم المجموعة الشمسيه ضمـن ما يـقرب من مائة مليـار نجمـه وتمتـد على ـ مساحة ـ قطرها ١٠٠ الف سنة ضوئيه .. هذه المجرة تصدر في مجموعها موجات راديو تعتـبر خافتة للغايه بالمقارنة لتلك التي انبعثت من ـ أشباه النجوم .

كذلك يدل النشاط الاشعاعي ـ لاشباه النجوم ـ على أن تفاعلات نوويه تجري داخلها بقوة خارقه لا يوجد ما يماثلها في العوالم التي ـ عرفناها ـ إلى اليوم ..

وأخذ العلماء يتساءلون :

هل نحن بصدد تفاعلات نوويه داخل ـ أشباه النجوم ـ تفضي إلى إبادة كامـلة للمادة ، وتحولها كلياً إلى طاقـة .؟. أم نحن بصدد التقاءات متفجرة بين المادة ـ والمـادة المضادة ـ ؟.. ولكن في مثل هذه الحالة ، لا يتصور أن يستغرق الانفجار

أكثر من جزء ضئيل من الثانية . . فكيف يفسر لغز استمرار هذا الاشعاع المهول على وجه الدوام ؟..

أن اكتشاف ـ أشباه النجوم ـ علمنا التواضع الشديد في ادراك مراكزنا داخل هذا الكون الواسع .

وقد خرج العلماء بعد هذا بثلاث نظريات علمية مثيرة ان هذه النظريات تقول ! إن الكواكب الأخرى مسكونة وإن سكانها سبقوا أهل الأرض في اطلاق سفن الفضاء وتفجير القنابل الذرية . أن هذه النظرية أشبه بالخيال :

الشمس ليست إلا نجمة من النجوم المتوسطة والمجموعة التي تنتمي إليها الشمس فيها ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ أي مائة ألف مليون نجمة .

وبالكون آلاف الملايين من مثل هذه المجموعات . وحول الشمس أسرة من عشرة كواكب والأرض كما هو معروف أحد هذه الكواكب — وبين الرقم المجهول الذي ذكرناه للنجوم توجد عشرة آلاف مليون نجمة تؤلف حولها أسراً كأسرة الشمس أي توجد عشرة آلاف مليون نجمة تدور حولها الكواكب . والله اعلم .

فسبحان الخالق العظيم القدير على كل شيء وهو بكل شيء عليم . جريدة المدينة المنورة عدد ٦٤٨ — ٦٠٤ .

السماء والبروج في سورة البروج

لقد بدأت بكتابة فصول في مجلة رابطة العالم الاسلامي
التي تصدر بمكة المكرمة بعنوان :
« نظرات في سورة البروج » ولارتباط الموضوعين
الأولين من هذه الفصول بموضوع كتابي هذا فقد
آثرت نقلهما ونشرهما في الكتاب .

لقد نزلت سورة البروج ، لإظهار عظمة الله ، وجلال قدرته ، وشدة بطشه ، وانه سبحانه يبيد الأمم الظالمة في كل عصر ، وزمان ولا سيما الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا .

ولقد اشتملت سورة البروج كسورة الشمس التي قبلها على وعد المؤمنين ، ووعيد الكافرين وجزاء كل منهما . كما نوهت بشأن القرآن العظيم ، وفخامة قدره ، وجلال أمره ، وانه محفوظ مصون .

والله سبحانه وتعالى لما ذكر أنه عز وجل أعلم بما يجمعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، من المكر والخداع ، وايذاء من أسلم بأنواع من الأذى وأصناف من العذاب ، والضرب والقتل ، والصلب ، والحرق بالشمس ، واحماء الصخر ، ووضع أجساد من يودون أن يفتنوا على هذا الصخر الذي أصبح من تأثير حرارة الشمس المحرقة . لما ذكر هذا سبحانه عقب

بذكر : أن هذه الأحوال شنشنه كانت فيمن تقدم من الامم . فكانوا يعذبون بالنار . وغيرها من أصناف العذاب . ولكن المعذبين المؤمنين كان لهم من الثبات في الإيمان ورسوخ العقيدة الحقة ، ما منعهم أن يرجعوهم عن دينهم ، ويصدوهم عن عقيدتهم ، بل زادهم العذاب إيماناً وتثبيتاً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من ربهم ورضوان وفضل لم يمسسهم سوء .

إما الذين عذبوهم من الطغاة المتجبرين فهم ملعونون على كل لسان ،ومطرودون من رحمه الله في الدنيا والآخرة ،سواء منهم من عذب المؤمنين في سالف الحقب والدهور . أو من عذب المؤمنين بالرسالة المحمدية من كفار قريش وطغاة مكة المشركين الذين أغواهم الشيطان ، وختم على سمعهم وأبصارهم وقلوبهم ، وفي هذه السورة بشارة من الله لمن هم على الحق انهم منصورون وان عدوهم مأخوذ بذنبه ، وان هؤلاء الكفار بمكة الذين أشهروا سيف الظلم في وجوه المؤمنين . لا فرق بينهم وبين أصحاب الاخدود . والله تبارك وتعالى سميع بصير ، عليهم سيقتص من الظالمين ، وينصر المظلومين « **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض فنجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** » وهو عز وجل سميع عليم بما يصنع كفرة اليوم وأهل البغي والظلم والفساد والالحاد ، وما يصبونه من العذاب على دعاة الاسلام ، وحملة راية التوحيد . . فهو عز وجل لهم ولمن سيأتي بعدهم من

أهل البغى والضلال يأخذهم ويعذبهم وينزل بهم بطشه ، وعذابه الاليم الشديد .وتلك سنه الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

وفي هذه السورة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن معه من اله وصحابته الكرام عن إيذاء الكفار لهم ، ووقوفهم في وجـه الدعوة الربانية الخالدة ، وصدهم عن سبيل الله . واصرارهم على كفرهم وضلالهم . وذلك بان بين سبحانه أن سائر الامم السالفة كانوا كذلك يفعلون مثل أصحاب الاخدود ، ومثل فرعون وثمود وختم ذلك بأن بين تبارك وتعالى أن كل الكفار كانوا في التكذيب سواء .

ثم عقب بقوله سبحانه : **(والله من ورائهم محيط)** . ثم ختم بقوله : **(بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)** .

ليبين أن هذا الامر شيء مثبت في اللوح المحفوظ وهو ممتنع التغيير ، والتبديل ، وتلك سنة الله مـا ظهر مصلح ولا تحرك داع الى الله ولا نادى مناد بالجهاد لإعلاء كلمة الله . الا تحركت جحافل الكفر ،واستيقظ جنود ابليس وقام الطغاة والمتجبرون ، وتصدت له شياطـين الانس والجـن ، يحاربونه وينصبون له الشباك ، ويضعون في طريقه السدود والقيود والأشواك . فان صبر وسار إلى الإمام مستهيناً بجمعهم ، مستصغراً لجبروتهـم ، ومؤامراتهم ، محتقراً لقوتهم وبغيهم فقد فاز وانتصر . وغلب

وظهر . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قال الله عز وجل :

والسماء ذات البروج ، واليوم الموعود وشاهد مشهود .

هذه السورة القصيرة ذات الاثنتين والعشرين آيه . وضحت أموراً خطيرة . وبينت وعرضت حقائق العقيدة التوحيديه الربانية ، وذكرت وأرست قواعد التصور الإيماني . كما قررت حقيقة المعركة والخصومة الحادة منذ القدم بين المؤمنين وغير المؤمنين . وثبات المؤمنين على عقيدتهم ، واستبسالهم في سبيلها، وتضحياتهم من أجلها . حتى لو حرقوا بالنار . وقتلوا تقتيلاً . كما أرشدت هذه السورة إلى قوة الله ، وعظمته ، وحلمه ، على الخلق أجمعين . حتى على الكفار والمشركين والعتاةوالمتكبرين . وانه سبحانه متفضل على الناس ، وهو خالقهم ، ورازقهم ومسدي الخير إليهم . وواهب الحياة لهم ، فهو الرب العظيم والإله الكريم .

والسماء ذات البروج

اقسم الله تبارك وتعالى بالسماء في عدة آيات من كتابه الكريم . وذلك لما في القسم من دليل على عظيم القدرة ، وكمال الحكمة ، وعظمة هذه المخلوقات وليس أدل على عظمة السموات من تكرار لفظها . وذكرها في العديد من آيات القرآن العظيم ، وتوجيه الانظار إليها والاعتبار بما فيها :

« قل انظروا مـــاذا في السموات والارض » « والسماء رفعها ووضع الميزان »

والفظ السماء حين يطرق الاذان ، يسبق الى الذهن هـذا السقف الرفيع المزين المحفوظ المرفوع فوق رؤسنا ونراه متماسكاً لا يختل ، ثابتاً لا يضطرب ، وبه تتحقق عظمة البناء ، وعظمة الباني ، وجلال الخلق ، وجلال الخالق عز وجل . اما كيف هو مبني ، وبأي شيء مبني ؟ وما الذي يمسك اجزاءه فلا تتناثر ، فذلك ما لا ندري به ولا نعلمه ،والله به عليم وخبير . وانما نوقن ان يد الله هي التي تمسك هذا البناء الشامخ العظيم عن ان يزول أو يحول . يقول الشيخ طنطاوي جوهري رحمه الله في تفسيره: إن العجب ليأخذنا كل مأخذ ويدهشنا أن نكون في عالم بديع الأتقان . عجيب البنيان ، حسن الهندام ، والحق احـق . ان هذه الدنيا بديعة الحسن ، ظريفة الصنع ، بهجة المنظر ، سارة للمفكرين . كما انها سجن الغافلين . كيف تجعل الكواكب التي عـدت بمئات الملايـين كأنها درر مرصعة في سقفنا ! أليس من العجب ان تكون تلك الكواكب لمآرب في تلـك السباسب . ولبديع وحسن الاتقان وجمال الوضع تتراءى لنا انها انما وضعت لاجلنا وليزين بها سقفنا . وكيف دبرت هذه الحكمة وكيف لوحظ في وضع هذه الكواكب جميعها أن تكون ذات منافـع بعيدة المدى . فالشمس من تلك الشموس تشرف على سياراتهـا وعلى أراضيها . ثم هي من جهة تجعل زينة في سمـاء كل شمس

وكل ارض وكل سيارة ويكون قدرها في تلك الزينة مختلفاً باختلاف الآفاق التي تتراءى لها . وكما ان الكواكب مرصعة في سمائنا فإن شمسنا مرصعة في ملايين الآفاق المحيطة بالكرات .
« ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم » .

فالله سبحانه . حدد لكل جرم سماوي خلقا يسبح فيه لا يتخطاه يسير كل من الاجرام في فلكه بانتظام بحيث لا يشذ عن المجموعة . فمن تأمل في هذا الكون العجيب وفي أوضاعه الدقيقة يركع الى الله تعالى ويقر له بالوحدانية . ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، ولا يسع كل ذى بصيرة عندما ينظر الى ملكوت السموات والارض وينظر الى الكواكب ، وملايين الاجرام السماوية الهائلة ، ودوران كل في مداره ، بحكمة ودقة ، إلا ان يؤمن بالله العزيز الحكيم **«الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون »** سورة الرعد .

١ — فالله سبحانه وتعالى: أقسم بالسماء لينبه الى عظمتها . وجلال قدرة خالقها عز وجل . وعظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق . كما ان عظمة المصنوع تدل على عظمة الصانع .

٢ — والله تبارك وتعالى أقسم في هذه السورة أيضا بما فيه غيب وشهود . وهو السماء ذات البروج . فان كواكبها مشهود نورها . مرئى ضؤها ، معروفة بالعيان حركاتها . وكذلك البروج نشاهدها وفيها غيب لا نعرفه بالحس وهو حقيقة الكواكب وما أودع فيها من الاسرار ومن العوالم التي لا نراها ،

ولا ندرك حقيقتها .

٣ — **واقسم** سبحانه : بما هو غيب صرف وهو اليوم الموعود وما يكون فيه من حوادث البعث والحساب والعقاب والثواب.

٤ — **واقسم** سبحانه وتعالى بما هو شهادة صرفة وهو الشاهد : أي ذو الحس والمشهود : وهو ما يقع عليه الحس . اقسم الله عز وجل بكل ما سلف من هذه الاقسام الاربعة . ان من كان قبلهم من المؤمنين الموحدين ابتلوا ببطش اعدائهم ، من الكفرة الفجرة ، أعداء الله ورسوله والمؤمنين . واشتدادهم في إيذائهم ، حتى انهم احرقوهم بالنيران وقذفوهم بها ، ولم تأخذهم بهم رأفة ولا رحمه ولم يرعوا فيهم الا ولا ذمة . ولكن الله بعد ذلك أخذهم بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر . وارداهم في الجحيم ، وأحرقهم بالنار التي حرقوا بها المؤمنين والمؤمنات .

وانتم ايها المؤمنون في كل زمان ومكان ستلقون ما لقي من قبلكم وستجدون ماوجدوا من الاذى والعذاب والنكال: فاذا صبرتم على الاذى ، وثبتم على مبادئكم ، ودعوتكم ، واستهنتم بحرب الملحدين والمرتدين والمنافقين . واستقمتم على الطريقة ، وجاهدتم جهاد الصابرين المحتسبين ، فان الله سوف يوفيكم اجوركم ولا يضيع لكم من عملكم مثقال ذرة . وليأخذن أعداءكم أخذاً « أليما » ، وسينزلن بهم من العذاب ما لا قبل لهم به ، فاصبروا فان الله مع الصابرين . والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والحمد لله رب العالمين .

معنى البروج

البروج التي في قوله تعالى : والسماء ذات البروج . هي النجوم العظام في هذا الفلك العظيم منها ما نراه بأعيننا المجردة ومنها ما لم يصل نوره إلينا حتى الآن . لذا فهي لا ترى حتى بالمكبرات والمراصد الكبيرة الحساسة . ويقول علماء الفلك.

إن من النجوم نجوماً سوف لا يصل نورها إلى كرتنا الأرضية في أقل من ألف وخمسمائة مليون سنة ضوئية . مع العلم بأن الضوء يسير في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر . ويصل في سيره إلى القمر في قدر ثانية وثلث الثانية .

ولو جرى حول الكرة الأرضية لدار حولها في الثانية الواحدة ثمان مرات . ولو أطلق مدفع فإن قنبلة تجري وتسير نحو سنة ونصف السنة حتى تقطع المسافة التي يقطعها الضوء في ثانية واحدة .

فما أبعد الكواكب عنا ؟ وما أعظم خالق هذه الكواكب ومسيرها ومدبرها ومضيئها الجليل القدير على كل شيء . وقد قلنا أن الله تباركت أسماؤه أقسم بهذه الكواكب لما فيها من عجيب الصنعة وباهر الحكمة وهو عز وجل يحثنا على البحث عن

هذه الكواكب وما فيها من عوالم لنستدل بذلك على عظيم قدرته وجليل حكمته وبالغ عظمته . وصدق الله العظيم إذ يقول : **فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم »**

ولله العظمة والجلال إذ ينبه إلى عظمة الكون ليهيج الناس ويشوقهم ويدعوهم إلى الأطلاع على تلك العوالم الجبارة في الحياة . وهي فوقهم في السماء التي يشاهدونها ويرون النجوم فيها مبعثرة هنا وهناك ولا نرى من نورها إلا واحداً من آلاف الملايين من حقائق أنوارها وأقدارها . وأكبرها ترى صغيرة الحجم دقيقة الجرم وهي قد تفوق أرضنا سعة وحجماً .

الشِّعْرَى اليمانية

يقول علماء الفلك إن الشعرى اليمانية أثقل من الشمس جرماً بعشرين مرة ونورها خمسون ضعف نور الشمس وهي أبعد منها مليون ضعف بعدها عنا . وأن الشعرى اليمانية تجري بسرعة ١٠٠٠ ألف ميل في الدقيقة لذا خصها الله عز وجل في كتابه العزيز إذ قال : وأنه هو رب الشعرى » وهناك الشعرى الشامية لها خصائص ومميزات أخرى والشعرى اليمانية هذه التي نراها قِبَلَ اليمن . وهي في النظر بقدر الجوزة أو البيضة . وهي أسطع من خمسين شمساً كشمسنا ولا يصل إلينا نورها إلا في ١٦ ستة عشر سنة . ولا يصل من نورها إلينا إلا واحد من ألفي مليون منه وثلاث من بنات نعش يفقن الشمس نوراً . واحدة

منهن أربعمائة ضعف . والثانية أربعمائة وثمانين . والثالثة ألف ضعف .

وسهيل أضوء من الشمس ٢٥٠٠ ألفين وخمسمائة مــرة . وتقول العرب : إذا طلــع سهيل برد الليل لأنــه يطلع أوائــل الخريف .

والسماك الرامح حجمه ثمانون ضعف حجم الشمس ولا يصل إلينا ضوءه إلا في مائتي سنة .

هذه كلها تقديرات علماء الفلك والله أعلم بصحتها . ولكنها تدل بوضوح على عظمة الخالق جل وعلا وكمال قدرتــه وفــائق صنعته قال تعالى . **تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا** » قال ابن عباس ومجــاهــد والضحاك والحسن وقتادة والسدي : البروج النجوم . وقــال يحي بن رافع : البروج قصور في السماء والبروج واحدهــا برج » يطلق على الحصن والقصر العالي . وعلى أحد بروج السماء الاثني عشر وهي منازل الكواكب والشمس والقمر يسير القمر في كل برج منهــا يومين وثلث يوم فذلك ثمانية وعشرون يومــاً . ثم يستسرُّ ليلتين . وتسير الشمس في كل برج منها شهراً والبروج ستة منها في شمال خط الأستواء وستة في جنوبه .

فالتي في شماله ثــلاثة ربيعية وهي : الحمل والثور والجوزاء وإبتداء الحمــل من الأعتدال الربيعي ويصــادف اليوم الثالث

والعشرين من شهر مارس — آذار وثلاثة صيفية هي : السرطان والأسد والسنبلة .وابتداء السرطان من نقطة الأنقلاب الصيفي. ويصادف اليوم الثالث والعشرين من شهر حزيران — يونيــة والستة التي جنوب خط الأستواء ثلاثة منها خريفية وهي الميزان والعقرب والقوس وابتدأ الميزان من الأعتدال الخريفي ويصادف اليوم الرابع والعشرين من شهر أيلول سبتمبر . وثلاثــة شتائية هي الجــدى والدلو والحوت . وابتداء الجــدي من الأنقلاب الشتوي ويصادف اليوم الثالث والعشرين من شهر كانون أول ديسمبر .

فتكون السنة الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربــع يوم . وهي مدة دخول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من تلــك البروج . وكل برج ثلاثون درجة فمجموعها ٣٦٠ ثلاثمائة وستون درجة . بمقدار أربع دقائق . ومجموعها أربع وعشرون ساعة. والشمس— كما قلنا— تقطع بإذن الله هذه البروج كلها مرة فيالسنة كل برج في شهر . وبها تتم دورة الفلك . ويقطعها القمر في ثمان وعشرين يوماً وكسور .

والبروج في كلام العرب هي القصور — قال تعالى : **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** . وشبهت النجوم بالقصور لعلوها .ولأن النجوم نازلة فيها . والمراد بها هنا والله أعلم بأجزاء الفلك الأعظم المسمى بالفلك الأطلسي وفلــك الأفلاك .

يقول الشيخ موسى جار الله رحمه الله في كتابه « ترتيب السور الكريمة وتناسبها في النزول في المصاحف » صفحة ٢٠ : فإن كان البروج في هذه الآية الكريمة في قول الله . **تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا »** هي بروج الهيئة القديمة كما اتفقت عليه التفاسير فإن تلك الشمس الظاهرة وهو المدار السنوي للأرض في الواقع . واقع في هذه البروج . والأرض في مدارها السنوي تقطع كل هذه البروج . هذا وجه وجيه . لنا أن نقتنع به في بيان نزول سورة البروج بعد سورة الشمس .

وقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً : زهقت الهيئة القديمة وجاء النظام الحق نظام السموات التي رفعها الله بغير عمد تراها . وهذه السموات لها منظومات . منها منظومة شمسنا هذه بسياراتها التسع وشمسنا هذه ليست من كبار الشموس ومنظومتنا هذه ليست من كبار المنظومات .

وكل منظومة من هذه المنظومات يسميها القرآن برجاً . والسماء التي تحوي كل هذه المنظومات يسميها القرآن الكريم : السماء ذات البروج . بها أقسم الله في كتابه الكريم في سورة البروج وهذه السماء ذات البروج التي تحوي كل هذه المنظومات يحدث خلال منظوماتها كل يوم . شأن الله . إنشقاقات وبتلك الأنشقاقات يحدث في المجرة وخارجها سموات وللأشارة وللإرشاد وإلى مثل هذه الحوادث الهائلة العظيمة وضعت سورة

البروج بعد سورة الانشقاق » والله أعلم .

والسموات سبع لا تزيد ولا تنقص كما نص بذلك كتاب الله العزيز حيث قال الحق تبارك وتعالى : **الله الذي خلــق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن .**

وبمثل هــذه الآيات الكونيــة تتجلى عظمة الخــالق وتظهر للعيان قدرة العليم الحكيم الذي رفع السماء بغير عمد ترونهــا . وألقى في الأرض رواسي أن تميد بساكنيها وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً .

والليل بذاته آية وجعل فيه آية الليل وهي القمر الساطع . وأظهر فيه النجوم اللوامع .وكلها آيات بينات وحجج ناطقات ساطعات نيرات دالات على عظيم جلال الله وكمال قدرته .والنهار بذاته آية وجعل فيه آية النهار وهي الشمس المشرقة تطل على الارض كل صباح فتملؤها نوراً وبهاءاً وتزيدهــا جمــالاً ورواءاً قال تعالى :

وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عـدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا »

والحمد لله رب العالمين .

بين
الذرة والمجرة

يتضمن هذا الكون خمسمائة مليون مليون من المجرات كما يقدر علماء الفلك ، وفي كل مجرة مأة ألف مليون نجم ، وإن أقرب مجرة إلى الأرض تلك التي نشاهد جزءاً منها كخط أبيض في الليل ، تمتد مساحتها مأة ألف عام بالنسبة إلى عام الضوء ، ونحن سكان الأرض نبتعد عن هذه المجرة مقدار ثلاثين ألف عام من الضوء ، ثم إن هذه المجرة جزء لمجرة كبيرة تتضمن سبع عشرة مجرة ، وتمتد أبعاد هذه المجموعة في مساحة مليوني عام من الضوء .

ثم إن هناك حركة أخرى غير هذه الدورات ، وهي أن الكون كله يتوسع ويتضخم مثل الكرة في الجوانب الأربعة ، والشمس تجري بسرعة هائلة تبلغ اثني عشر ميلاً في ثانية نحو الجانب الخارجي لمجرته ، وتقود كل ما يتبع النظام الشمسي ، وكذلك النجوم كلها تتوجه إلى أي جانب بسرعة متزايدة مع متابعة دورانها ، فمنها ما يبلغ سيره ثمانية أميال في كل ثانية ، وما يبلغ سيره ثلاثة وثلاثين ميلاً في ثانية ، وأربعة وثمانين ميلاً في ثانية ، وهكذا نجد النجوم كلها متجهة نحو الامام .

إن هـذه الحركات والدورات كلها منظمة إلى حـد يبعث العجب والدهشة ، إذ أن النجوم كلهـا بالرغم من حركاتهـا ودوراتها لا يتصادم بعضها ببعض ، ولا يصيبها نوع من الخلل ، كما أن حركة الارض حول الشمس منظمة تماماً ، وكذلك دوران الارض حول محورها يبلغ من الانتظام والدقة بحيث لا يلحقه خلل ولا تقديم أو تأخير ثانية واحدة في موعدها ، ولو بعـد قرون ، أما كوكب الارض الذي نسميه بالقمر فدورانه معلوم مقرر ، غير أن الفرق اليسير الذي ينشأ فيه في ثمانية عشر عاماً ونصف يعاد بعد كل ثمانية عشر عاماً ونصف بدقة وصحة ، وكذلك الاجرام السماوية كلها ، حتى إن خبراء الفلك يقدرون أن نظام مجرة بأسره ، ذلك الذي يحتوي على ملايين الملايين من النجوم يدخل في نظام مجرة أخرى خلال الدورات الفضائية ، ويخرج منه دون أن ينشأ هناك صدام أو خلل في نظم الدورات.

وعندما يشاهد العقل هذا النظام المدهش الدقيق يضطر إلى الاعتراف بأنه لا يحصل بنفسه وإنما هناك يد قوية تقوم بتنظيم هذا النظام المدهش وتسييره بدقة وانتباه .

ونفس هذا النظام القائم بين العوالم والاكوان الكبيرة يوجد بين العوالم والاكوان الصغيرة أيضاً بنفس هذه الدقة والتنظيم ، إن الاكتشافات الاخيرة تفيدنا أن أصغر العوالم إنما هي الذرة ، والذرة تبلغ من صغر الحجم إلى درجة لا يكاد يرى بأي مكبرة، بالرغم ممـا تقدر عليه المكبرة الحديثة بتكبير أي شيء صغـير

إلى آلاف الاضعاف مما هو عليه .والذرة كلا شيء بالنسبة إلى قوة البصر الإنساني ، ولكنها على ذلك تحمل نظام دورة مدهش مثل النظام الشمسي ،والذرة مركبة من شحنة كهربائية ،ولكنها غير متصلة بعضها ببعض ، بل يتخلل بينها حجم خلائي طويل .

إن قطعة من الرصاص تتراص فيها الاجزاء الذرية بعنف وشدة وهذه اجزاء لا تستطيع أن تشغل جزءاً حقيراً من ألف مليون جزء لهذا الحجم ، أما الاجزاء الباقية فتبقى فارغة ، إننا إذا صورنا الكترون Electron البروتون Proton كقطعتين متباينتين لكانت المسافة بينهما ما يقارب ٣٥٠ متراً أو إذا تصورنا الذرة كجزء غير مرئى لكان الحجم المتكون من دوران الكترون بمقدار كرة يبلغ حجمها ثمانية أقدام .

إن شحنة الذرة الكهربائية السالبة التي تسمى بـ «الكترون» تدور حول الشحنة الكهربائية الايجابية التي تدعى بـ « البروتون » إن أجزاء هذه الشحنة التي لا تكاد تعدو نقطة ضوء خيالية تدور حول مركزها كدوران الارض في محورها حول الشمس ، وهي تدور بسرعة هائلة لا يكاد يتصور وجود « الكترون » في موضع واحد معلوم ، بل ويبدو! كأنه يشغل كل مكان من مداره في وقت واحد ، إذ هو يدور بسرعة خارقة تتم دورة ملايين الملايين في مداره في ثانية واحدة .

إن هذا النظام الدقيق الهائل الذي يعدو حدود القياس والمشاهدة إذا كان لا يعدو حدود القياس لدى علماء الطبيعة

لانهم يثبتون عن طريقه وجود الذرة وقوتها الخارقة يستوجب أن نتصور قـوة تفوق جميع القوى المـادية وترتكز في ذات الخالق ،ونؤمن بأنها هي التي تخلق الذرة وتراقب نظامها الدقيق الهائل ، والتي يستحيل وجود الذرة بدونها . (١)

---

(١) عن مجلة البعث الاسلامي الجاهدة: العدد الثاني الصادر في جمادى الثانية ١٣٨٦ هـ للأستاذ وحيد الدين خان بعنوان : آية الكون في النجوم .

إتساع الكون

قال الله تبارك وتعالى : **قل من رب السموات السبع ورب العرش الكريم »**

وقال عز وجل :

والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون :

يقول الله سبحانه عز من قائل عن السموات : إنها سبع وزيادة عليها يوجد العرش الذي وصفه بأنه عظيم ، ويصف جل شأنه هذه السموات أنها طباق ففي سورة الملك : الذي خلق سبع سماوات طباقاً ،وأن هذه السموات تتسع. هذه الآية جمعت علماً لم يكن معرفته إلا في الأعوام القليلة الماضية ،ومازال العلماء في دراسة متواصلة فيه رغم أن القرآن قد أوضحه منذ عشرات المئات من السنين.

أن التقدم الذي أحرزه العلم الفزيقي ، وظهور الكشوف العلمية الحديثة في الفلك ، قد مكنت العلماء من فهم هذه السموات السبع والأراضي السبع . فقد أثبت العلم بأن الشمس والقمر والنجوم والمذنبات والنيازك والشهب والسُدُم إنما هي سموات فوق سموات تتألف منها عوالم الكون .

يقول العالم الفلكي « أرثر فندلاي » في كتابه « على حافة العلم الأثيري » إن العلم أثبت أن السموات السبع هي أفضية منسابة يتبعثر خلالها ويرتد ضوء الشموس السبع الأثيرية التي تحيط بالشمس الفزيقية من كل جانب . وأكد أن الأراضي السبع هي كرات أثيرية تحيط بالكرة الأرضية وتتخللها .

أما عظمة العرش . التي قال بها القرآن العظيم فلا يمكن التطاول على وصفه. ولكي نعرف عظمة البناء ، والخالق ، فلنسمع إلى العالم الفلكي « سيمون نيوك » في كتابه عن الفلك وهو يقول : لو أننا أردنا أن نضع نموذجاً صغيراً جداً للعالم وتصورنا الأرض التي نقطنها ممثلة عليه بحبة من الخردل ، فإن القمر سيكون على هذا النموذج ذرة ، قطرها حوالي ربع قطر حبة الخردل .

وعلى مسافة منها تكون الشمس كتفاحة مضيئة . أما الكواكب السيارة الأخرى فإنها تتراوح في الحجم من ذرة قد لا ترى إلى بسلة متوسطة الحجم وتقع على مسافات من التفاحة أي الشمس تختلف بين عشرة أقدام إلى ربع ميل .

مجموعتنا الشمسية هذه تشغل كلها على هذا النموذج مساحة نصف ميل وبعد ذلك لا بد أن تقطع فضاء على هذه النسبة مساحته أعرض من قارة أمريكا لترى جرماً سماوياً .

وهكذا تبتعد النجوم بعضها عن بعض بحيث أن نموذجاً مساحته مساحة الكرة الأرضية لا يتسع لأكثر من ثلاثة نجوم ، على فرض بأن حجم الأرض كحبة الخردل . فما بالنا بالمساحة

التي تكفي لمائة مليون نجم مثلاً ؟ .. في سمائنا غــير ما في السموات الأخرى !!.. ولعـل أدق وصف لـلأرض بالنسبة للكون هو أنهـا هباءة دقيقة لا ترى إلا بالمجهر في هـذا الفضاء الفلكي الواسع بالنسبة إلى الأجرام السماوية المتناثرة في أنحـاء الكون . أليست هذه عظمة في البناء وفي خالق البناء . !!

هذا وقد أثبتت الأبحاث الأخيرة أن حجم الكون آخـذ في الزيادة والإتساع شيئاً فشيئاً ، وكلما أزداد حجمه أزدادت المسافة بـين أجرامه ، فسبحان أعـلم العلماء وما أعظم صـدق القرآن وهو يقرر هذه الحقيقة العلمية قبل أن تعرف . وهي أن السماء في أتساع دائم « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون »

المعلقون

على المحاضرة

بعد الأنتهاء من المحاضرة التي دعتني إلى إلقائها إدارة التعليم بمكة المكرمة ، والتي جعلت عنوانها ، وهو عنوان كتابي هذا « المسلمون وعلم الفلك » وألقيت في الأسبوع الأول من شهر ذي القعدة ١٣٨٥هـ بعد الأنتها بدأ المعلقون وتقاطرت الأسئلة من الحاضرين وأذكر من المعلقين الأساتذة الكرام : الأستاذ الكبير الدكتور الأديب محمد زكي المحاسني أستاذ الأدب العربي بكلية الشريعة بمكة المكرمة آنذاك والأستاذ الشيخ مصطفى العطار مدير التعليم لمنطقة مكة التعليمية . والأستاذ الأديب الصحفي محمد المليباري ومعالي الأستاذ الكبير الشيخ أحمد شطا .

١ – أما الأستاذ الأديب الكبير الدكتور محمد زكي المحاسني فقد بدأ تعليقه بأبيات شعرية كتبها بورقة ثم دفعها إليّ بعد القائها . ثم أتبعها بورقة أخرى تحمل أربعة أبيات شعرية أخرى. وقد استعيدت أبياتها عنه القائها . قال جزاه الله كل خير :

إني وجدت بدار عبد مناف

ولدى قريش شاهد الإيلاف

لا تسألوا عن صوفه أو قطنه
فمـن الصفـاء دعـوه بالصـواف
هـو في الأئمـة بين سادة مكه
أهـلِ التقى والعلم والإنصاف

ثم قال :

قُطْناً لبستَ أو أرتديتَ الصوفا
فلقد وَجدُتكَ بالهـدى موصوفا
وإذا المنابر بالرجـال تـلألأت
عرفتْ لسانـك بالمقال عفيفا
إن المنابر مرتقى لكرامـة
هزت إلى شرف الجهاد زحوفا
وهي التي رفعت مشاعل فكرها
وبنت لعليـاء الشعوب منيفا

ثم استمر في تعليقه نثراً ، وأيد كل ما جاء في المحاضرة من آراء علمية ، ونظريات فلكية .

ثم أعقبه الأستاذ الكبير الشيخ مصطفى العطار مدير التعليم بمكة حيث شكر المحاضر على محاضرته . وأثنى على ما جاء في المحاضرة . وتكلم عن شيء من أهداف هذه الندوات العلمية التي تقيمها إدارات التعليم بالمملكة ، لبث الوعي العلمي والإسلامي ، وذلك بتوجيه من معالي الوزير الشاب المؤمن الاستاذ الشيخ حسن آل الشيخ حفظه الله . ثم بتوجيه أكبر من جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز راعي النهضة وقائد الأمة إلى شاطىء الإسلام والأمن والسلام .

ثم أعقبه الأستاذ الأديب الصحفي الكريم السيد محمد المليباري فأيد المحاضرة والمحاضر، ولكنه مع ذلك أبدى بعض الملاحظات على بعض فقرات وردت في المحاضرة، عقب عليها المحاضر بعد ذلك وبين فيها وجهة نظره فيها .

ثم وقف صاحب المعالي الشيخ أحمد شطا فشرح وجهة نظره في الموضوع وتكلم عن التقدم العلمي في العالم وكيف يجب أن نسير ونقبس من أنوار العلوم في مختلف الميادين وأيد المحاضر والمحاضرة وشكر إدارة التعليم التي أتاحت هذه الفرصة له وللمستمعين لسماع مثل هذه المحاضرة التي كانت موضوع الساعة في المملكة العربية السعودية . ويؤسفني أنني لم أتذكر بقية المعلقين فمعذرة إليهم إن لم تذكر أسماؤهم .

ثم رجع المحاضر إلى منصة الخطابة وأجاب على الأسئلة التي وردت من الحاضرين سؤالاً بعد سؤال وناقش السائلين وشرح الكثير مما كان مبهماً على بعض المستمعين .

وانتهت المحاضرة بعد هذا وكان من نتاجها الطيب هذا الكتاب « المسلمون وعلم الفلك » الذي بين أيدي القراء اليوم والذي نسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يشفع لنا به سبحانه وتعالى أنه سميع مجيب الدعوات والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الخاتمة

الحمد لله في البدء والختام ، والصلاة والسلام على محمد خير الأنام . وعلى آله العظام ، وصحابته الكرام ، وعلى من سار سيرتهم ونهج نهجم إلى يوم الدين وبعد :

بهذه الكلمة أحببت أن اختتم هذا الكتاب ، أو تلك المحاضرة ،أو هاتيك المقالات التي قصصت قصتها في أول الكتاب. وذكرت ظروفها وأسبابها . وما كنت أحسب أنه سيتسع حتى يصبح بهذا الحجم المتوسط ، ولكنه كان . والحمد لله على ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون . فإن الكثير من شبابنا اليوم في حاجة ماسة إلى مثل هذه الكتب لتلقي لهم ضوءاً على ماضيهم المشرق . وتكشف لهم الحجاب عن حضارتهم الرائعة التي طمسها الأعداء أو كادوا . وزرعوا في نفوسهم الشك . حتى شككوهم في أنفسهم وقدراتهم على الإنطلاق والإنعتاق ، من قيود الجهل ، وأغلال التخلف ، وبراثن الفساد والإلحاد .

وكثيراً ما تمر بالأمم فترات وموجات من التحلل،والتخلف والإلحاد . حتى تلقي في النفس الشك والقلق والإضطراب .

وتشتد مثل هذه الفترات في أزمنة الجدب العلمي والفقر

الروحي ، وفي غفلة الدعاة إلى الله ، أو فقدانهم ، أو صدهم ومكافحتهم ومحاربتهم من الطغاة والمتجبرين ، دعاة الإلحاد ، وأئمة الظلم والفساد ، وعند تحكم سيطرة الحكام الظالمين . فإذا ثبت أهل الحق واستقاموا ، وجاهدوا في الله حق جهاده ؛ وجرد أهل الأقلام أقلامهم . ونطق أهل الألسنة بالحق ، وقام العلماء بحق العلم عليهم ، وأدوا حق الله قبل كل شيء . وواجب الأمانة التي في أعناقهم ، وتعاون المصلحون على البر والتقوى . عندها تخف هذه الموجات وتخف . حتى يخنس ويخرس دعاة الإلحاد وأئمة الضلال . لأنهم على الباطل ، والباطل لا يعيش إلا في غفلة أهل الحق ، أو تزحزحهم عن ميدان المعركة والجهاد .

وأمتنا اليوم تمر بمثل هذه الفترات ، وطغت عليها مثل تلك الموجات . ووجدنا دعاة إلى أبواب جهنم هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا من أجابهم إلى دعوتهم الضالة وفتنتهم المضللة . قذفوه فيها . وألقوه في الحميم ، وتركوه في الجحيم .

ولكن هؤلاء الضالين . قد تعرَّوْا والحمد لله وانكشفوا ، بفضل الله وظهر زيف دعوتهم ، وفساد فكرتهم ، وبدأ الناس في كل مكان يتلمسون الطريق إلى الله . ويحسون بالفراغ الروحي ، وينادون بالعودة إلى الدين ، إلى الإسلام العظيم ، الذي نهض بالمسلمين ، ورفع شأنهم ، وجعلهم في مثل لمح البصر ، خير أمة أخرجت للناس . ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فالدور اليوم للإسلام بإذن الله وسوف يرى الناس في رحابه

ـ أن هم صدقوا ما عاهدوا الله عليه ـ ما لقي أسلافهم من النصر ، والعز ، والمجد والسؤدد فالله هو هوعز وجل في قدرته ، وعزته ،وصدق وعده . وكما نصر أسلافهم عندما نصروه وأيدوا دينه .ينصرهم اليوم نصر عزيز مقتدر وهو القدير على كل شيء .

وقد أخذت الأخبار تترى عن اتجاه جديد .. في مختلف أنحاء العالم . هـذا الإتجاه يدعو إلى الله ، والرجوع إلى تعالـيم السماء . والتمسك بها . وفي مقدمة أصحاب هذا الإتجاه علمـاء أجـلاء وقادة فكر ممتازون من كل مـكان يدعون إلى مبادىء الانبياء والرسل . ويهيبون بالعالم أن يعود إلى الله . وأنه لا استقرار ولا اطمئنان . ولا أمان . ولا سلام إلا في ظل تعاليم السماء ومبـادىء الرسل الكرام . عليهـم وعلى نبينـا الصلاة والسلام .

وهذا اتجاه يبشر بنهاية موجات الإلحاد التي اجتاحت كثيراً من البلاد في العالم .

وقد أخذت الدراسات الدينية طريقها إلى البحث في أوروبا وأمريكا . بل وحتى في روسيا عميدة الإلحاد وداعيته في العالم . لذلك كان لا بد لمثل هذا التطور في الفكر العالمي أن تصحبه دراسات وأبحاث في مختلف العلوم والفنون تظهر الإسلام العظيم على حقيقته ومحجته الناصعة البيضاء . وتثبت أن القرآن الكريم ليس بكتاب سماوي أنزل لعهد مضى وزمن انقضى . بـل هو

كتاب أبدي سرمدي أنزل للخلود والبقــاء ، وليكون دينــاً أبدياً للإنسانية جمعاء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وإن استكمال الناس قرناً بعد قرن لبعض الأصول العلمية ، والانطلاقــات الفكرية ، سوف يظهر للغافــلين تلك الحقيقة وسوف تدفع بنفوسهم إلى غاية واحدة ، وسارية مضيئة أصلها ثابت وفرعها في السماء . ألا وهي الاسلام لله ، والتسليم لنبيه وقرآنه العظيم ، بدون اعتراض أو مناقشة .

ومن هذا المنطلق وجدت نفسي مضطراً إلى توسيع هــذا الكتاب إلى الحد الذي وصل إليه لعلي أساهم بجهد المقل في بث الوعي الإسلامي بإلقاء شيء من الأضواء على علم خطير من العلوم التي اشتغل بها علماءنا الأعلام ، رضي الله عنهم وأرضاهم حتى كانوا أئمة فيه . ألا وهو : علم الفلك »

ولقدإرتبطت بمبادىء هذا العلم منذ عهد الطلب . إذ قد درسناه في قسم تخصص القضاء الشرعي في الأزهر الشريف . لإرتباطه بالهلال وثبوته أيام رمضان والحج وغيرهما . وكان استاذنا فيه الاستاذ سماحة وفقه الله . وقد ذهب بنا مرة إلى مرصد « حلوان » ورصدنا القمر من هناك واطلعنا ألى شيء مما فيه من الجبال والأودية وكان مشهداً عظيماً لا ينسى .

وهذا العلم يبعث الإيمان ويزيده ويدعو إلى تعميق جذوره في

قلب الانسان . وقديماً قد قيل : أن أشد الناس إيماناً بالله هم : علماء الطب وعلماء الفلك ، لأنهم يرون من عجائب صنع الله مالا يراه غيرهم »

والخيرَ أردتُ ،ووجهَ الله قصدتُ .وخدمة الدين هَدَفتُ فإن أصبت فمن الله ، والفضل له وإليه عز وجل .وأن اخطأت فمني ومن الشيطـان ، وأسأل الله المعونة والمغفرة في خطـأي وعمدي وسري وجهري ، كما أرجوْ تعالى أن يدخر لي أجري ليوم الدين « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله أولاً وآخراً . وصلى الله وسلم على سيد الأنبياء والمرسلين، وإمام الهداة والمتقين وقائد الغر المحجلين ، سيدنا وإمامنا ، وشفيعنا وقرة أعيننا « محمـد » وعلى آله الطيبـين وصحابته الغر الميامين ، ومن دعا بدعوته . ونهج نهجه إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

لبنان ٢٦ جمادى الأولى ١٣٨٧ هـ

١ — أيلول ١٩٦٧م

محمد محمود الصواف

فهرس

مطابع
مرتوق اخوان
بيروت - لبنان